Tel : 787250, 788166
Fax : 0522-787310

MAJALLAH

RNI No.(U.P. ARA/2000/2341
Regd. No.LW-NP/64/2001

AL-BAAS-EL-ISLAMI

(ISSUE-1) Oct-Nov 2001 (Monthly)

صدر حديثاً:

المنثورات

في عيون المسائل المهمات

المعروفة

بفتاوى الإمام النووي

ترتيب ابن العطار

تحقيق ودراسة

محمد رحمت الله حافظ محمد ناظم الندوي

مراجعة وإشراف

الشيخ محمد محيي الدين الأصفر

رئيس قسم الدراسات الشرعية والقانونية في صندوق الزكاة
دولة قطر

المكتب الإسلامي
بيروت

دار الإشراق
الدوحة

Printed and Published by ATHAR HUSAIN on behalf of Majlise Sahafat-Wa-Nashriyat (Deptt. Of Journalism and Publicity) NadwatulUlama at Parekh Offset Printing Press, Tagore Marg, Lucknow, U.P.

المجلد ٤٧

المجلد السابع والأربعون

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

البعث الإسلامي

العدد الثاني | مجلة اسلامية شهرية جامعة | شوال المكرم ١٤٢٢هـ

في هذا العدد

السلطان صلاح الدين الأيوبي
العلوم الإنسانية و وضعيتها في العالم اليوم
سلامة العالم ليست إلا في الإسلام !
نظرة واحدة على ماهية الباري تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة
من الاستعمار والتنصير إلى العولمة والعلمانية
دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية
العلمانية وخطرها على الأمة الإسلامية
المذهب الحنفي والتحيات المعاصرة
دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي
العقود بالإنترنيت و وسائل الاتصالات الحديثة
التدخين : أضراره

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

٨٨٢١
١٢١٩٥٥
جرائد

أنشأها :
فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني -رحمه الله تعالى-
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

رئاسة التحرير :
سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المجلد السابع والأربعون

العدد الثاني
شوال المكرم ١٤٢٢هـ
ديسمبر ٢٠٠١م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال ، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير ، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة و المنصوص ، و قامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، و أن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير و التجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح و التجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه ، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر ، و حاجات المسلمين و أحوالهم .

(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
(رحمه الله)

المراسلات
البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب ٩٣ - لكناؤ
الرمز البريدي : ٢٢٦٠٠٧ (الهند)

المراسلات
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات إخواننا القراء !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد ! فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في خدمة العقيدة والفكر ، و في مجال البعث الإسلامي ، بطريق مجلة : "البعث الإسلامي" راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم ، و بروح من الاستقامة والصمود ، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة ويتعرض لها المسلمون اليوم في كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية .

وبمجرد توفيق الله ومشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها و يسر بها القارئ الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة وأجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة وتوسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، ويشاطرنا في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ، ويسمح لنا بلفت الأنظار إلى التعاون على البر والتقوى .

والتحديات تتجدد كل يوم ، وهي تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، ولكم شكرنا وتقديرنا.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

الاشتراكات السنوية

في الهند :
مائتا روبية ٢٠٠/٠٠
ثمن النسخة : ٢٠/روبية

في العالم العربي
و في جميع دول العالم :
٢٥/دولاراً بالبريد العادي
و
٤٠/دولاراً بالبريد الجوي

☆☆☆

عنوان المراسلات

ترسل الاشتراكات بالشيك باسم : "البعث الإسلامي" (ALBAAS-EL-ISLAMI)

☆☆☆

وذلك بالعنوان التالي
مكتب البعث الإسلامي
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ،
ص.ب ٩٣ لكناؤ (الهند)

☆☆☆

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o. NADWATUL ULAMA
P.O. Box : 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

☆☆☆

المجلة غير متنازعة بكل فكر ينشر فيها

في هذا العدد

★السلطان صلاح الدين الأيوبي — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) ٣

الافتتاحية

★سلامة العالم ليست إلا في الإسلام ! — سعيد الأعظمي الندوي ٤

التوجيه الإسلامي

★العلوم الإنسانية و وضعيتها في العالم اليوم — سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ٩
★نظرة واحدة على ماهية البارئ تعالى في ضوء النظريات القديمة والحديثة — فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي ١٥
★من الاستعمار والتنصير إلى العولمة والعلمانية — د/عبد الحليم عويس ٢٤

الدعوة الإسلامية

★دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد ٢٨
★العلمانية وخطرها على الأمة الإسلامي — د/محمد السيد علي بلاسي ٣٩

الفقه الإسلامي

★المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة — الأستاذ محمد فهيم أختر الندوي ٤٧
★دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي — د/أ.ق.م. عبد القادر ٣٧
★العقود بالإنترنيت و وسائل الاتصالات الحديثة — الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي ٦٥

قراءة في كتاب

★التدخين : أضـــراره (كتاب) — د/محمد بن سعد الشويعر ٧٧
★الصحافة المصرية وتطورها — د/محمد طارق القاسمي ٨٥
★رسالة دكتوراه ، حول : الأدب السعودي الحديث — د/محمد أنور حفيظ الندوي ٩٢

إلى رحمة الله تعالى

★السيدة حرم فضيلة الشيخ عبد الكريم بارك — التحرير ٩٨
★رحيل السري الحاج محمد فاروق الرامفوري — التحرير ٩٩
★معالي الشيخ حمودة بن علي — التحرير ٩٩

أخبار اجتماعية وثقافية

★البروفيسور مسعود الرحمن خان الندوي ؛ ينال جائزة رئيس الجمهورية " " " ١٠١

السلطان صلاح الدين الأيوبي

,,إن الملك الناصر
السلطان صلاح الدين الأيوبي معجزة
من معجزات الإسلام الخالدة ، وآية من آيات
الله الباهرة ، وهو حقيق بأن يعكف على دراسة سيرته
وأخباره ، أجيال المسلمين وعلماؤهم وحكامهم ، وأصحاب الفتوة
والفروسية والطموح والغيرة الإسلامية ، والبطولة الإنسانية ، في كل
زمان ومكان ، وفي كل عصر ومصر ، وأن يتنافس المؤلفون ، وحملة
الأقلام والمحققون ، في التأليف في سيرته ومكارمه وبطولاته ، وأن تشكل
له مجامع علمية ، تنقطع إلى التحقيق والتأليف في هذا الموضوع - و لكن
مع الأسف الشديد - لم يوف المسلمون و العرب حق هذا الرجل ، ولم ينصفوا
هذا الموضوع ، ولا يزال ما ألف في بعض اللغات الأوربية - و خاصة في اللغة
الإنجليزية - يفوق كثيراً ما ألف في اللغات الإسلامية ، و لا يزال هذا الموضوع
ينتظر مؤلفاً عالي الهمة ، طويل الدراسة ، دقيق النظر ، رحب الصدر ، واسع
الأناة ، يتفرغ للتأليف في هذا الموضوع .

ولعل هذا العصر الذي نعيشه هو أشد حاجة ، وأكثر طلباً لإبراز محاسنه ،
و تحديد مكانته في تاريخ الجهاد و التجديد الإسلامي من كل عصر مضى ،
و لا يزال هاتف الغيب يهيب بهذه الأمة على لسان خير الدين الزركلي ،
و يقول :

هاتي صلاح الدين ثـــانية فينـــا
و جـــددي حطين أو شبـــه حطينـــا

سماحة العلامة الشيخ السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية:

سلامة العالم
ليست إلا في الإسلام !

من المشاهد الملموس - أن عالمنا - المعاصر يزخر بأحدث العلوم والمعارف ، وكثرة الحضارات و الصناعات ، ويعيش تطورات هائلة . واتساعاً كبيراً في الوسائل والآلات ، لجميع المجالات الإنسانية والكونية . ولكنه لم يوفق إلى الآن إلى وضع نظام أو منهج يركز على صناعة الإنسان . وصياغته في قالب الإنسانية المثالية ، بل الواقع المعاش يشير إلى أن القيم البشرية ، والسلوكيات الرفيعة في تدهور وتسفل كبيرين ، وأن المصالح الذاتية ، والعنصرية ، والشعوبية ، والوطنية ، والقومية في رقي وازدهار ، و أن الإنسان في سبيل تحقيق مطامعه وأغراضه الحقيرة يتجاوز جميع الحدود والثغور ، و يعلن الحرب ضد الفضائل والأعراف و المعتقدات ، ولا يبالي بما إذا أدى كل ذلك إلى معارك ساخنة تهدم بناء الحياة ، وتقضى على جميع الصلات والقرابات ، ولا تزال حلقات التربية الخلقية تتفاقد مكانتها واحترامها ، ويحل محلها تجمعات وتكتلات غير إنسانية تقوم على أسس منهارة من الفساد والانتهازية ، والاستغلالية الشائنة .

يشبه الوضع البشري في ذلك على المستوى العالمي بالفساد الذي عاشه الإنسان الجاهلي قبل الإسلام ، ونشره على أوسع نطاق ، فسجل التاريخ يوم ذاك قصصاً وأحداثاً تعتبر وصمة عار ، وشنار على جبين الإنسانية ، فإذا قمنا بتحليل الحضارات التي تدعي بإثراء العالم البشري بالوسائل الغنية من كل نوع ، تبين لنا أنها طمست معالم الفضيلة ، والخلق .

والسلوك ، وجردت أهلها من لباس الاحتشام ، والزينة ، والحب ، وأقامت صلات مغرضة بين الإنسان و الإنسان ، فأصبح يضمر الحقد ، والبغض ، والحسد في نفسه ، ويتظاهر بالصفاء والإخلاص و الإيثار ، حتى إذا سنحت له فرصة انتهزها لإنزال عقوبات جسمانية و روحانية على من شاء ، واختار لذلك من الأساليب ما يتفق والمناسبة ، سواء في ذلك الأفراد والجماعات .

من هنالك تكون منة الإسلام في هذا المجال ، وكل مجال للحياة مما يستحق أن يذكر ويشكر ، ذلك أن الإسلام رسالة عالمية خالدة ، أفاضت على العالم البشري من متاع الخير والنصح، والحب الخالص ما لم تحلم به ديانة ، ولا فلسفة ، ولا منهج ، أو نظام من غير تفريق بين الشعوب والقبايل ، والعرب والعجم ، والقريب والبعيد ، والجاهل والعالم ، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم ، وكان ذلك نقطة تحول كبير في تاريخ البشرية ، و دستوراً خالداً للإنسان في كل زمان و مكان ، وعطاءاً حضارياً لم يسبق له مثيل في التاريخ .

تمثلت هذه الحضارة الإسلامية يوم أعلن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فقال : "إن المسلم أخ المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، وقال : كل المسلم على المسلم حرام ، دمه و عرضه و ماله ، و مثلها بالجسد الواحد ، فقال : مثل المؤمنين في توادهم ، و تراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد ؛ إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" .

ومن خلال هذه النصوص نستنبط معاني الوحدة ، والتضامن والحب و الإيثار ، التي منحت الأمة المسلمة مكانة القيادة الفريدة ، و الوصاية على البشرية ، و جعلتها سيدة الأمم والشعوب ، لا لعصر من العصور ، أو لجيل

من الأجيال خاص ، ولا لأرض خاصة ، وقطر خاص ، وتراب معلوم ، وإنما للبشرية جمعاء والعصور المتتالية إلى يوم القيامة ، ولكل أرض ، وبلد ، وقطر، وتراب ، على السواء .

يوم كان المسلمون يحملون راية هذه الحضارة في جميع المناسبات والنشاطات ، وكانوا يسيرون في ضوئها المشرق في جميع الجهات من العبادات والأخلاق و المعاملات ، كانوا هداة العالم وقادة الشعوب ، ودعاة الحق والعدل ، وذلك هو السرّ في قوتهم ، وفي انتصاراتهم ، وفتوحهم ، وفيما قاموا به من أعمال جليلة ، وما حققوه من مشاريع عملاقة في مجال العلم والتربية ، و الدعوة ، و بناء المجتمعات المثالية من خلال تعاليم الكتاب والسنة ، وتخريج أجيال من حملة الدين القيم ، وقد سارت هذه الأجيال على درب القيادة العالمية ، تنشر عقيدة التوحيد ، و تعرّف بالإسلام في جميع أنحاء العالم ، و تنادي بالأخوة الإيمانية ، والوحدة الإسلامية ، التي تقوم على أساس من العقيدة ، ومبدأ الأمن والسلام ، والتعاون على البر والتقوى ، ذاك أن الإسلام ؛ هو الدين الوحيد ، الذي رفع صرحه على أساس من السلام العالمي لأول مرة في تاريخ الإنسان .

ولكن زعماء الحضارات المادية ، ودعاة الضلال والغواية ، لم يرضوا بهذه الخصيصة التي تتميز بها الأمة الإسلامية ، وجاؤا بأفكارهم الزائغة ، وأباطيلهم السامة إلى المجتمعات ، والأقطار الإسلامية ، وفرضوا عليها نظرياتهم الباطلة ، وأيديولوجياتهم الزائفة ، وأبدلوا الفضائل بالرذائل ، و الحب بالعداء ، و الأمن والسلام بالقلق والاضطراب ، والعدل والحق بالظلم والخداع والكذب ، ولم تكن لهم غاية من وراء ذلك إلا إفساد العقول والنفوس ، وإثارة الغرائز ، والقضاء على الوحدة الإسلامية ، وتشتيت شمل الأمة ، وتوزيعها بين فئات وطبقات ، وأوطان وأجناس ، و

هنالك ظهر ذلك الحقد الدفين في نفوس النصرانيين من أوربا ، التي كان جزؤها الشرقي تحت حكم المسلمين إلى مدة ، فنهضت أوربا الصليبية للانتقام من المسلمين ، ودخل الجيش الصليبي في القرن الخامس الهجري بلاد الشام ، وفرض سيطرته على عدد من مدنها حتى استولى على بيت المقدس في نهاية القرن الخامس الهجري ، و أقام مجزرة هائلة ، و عبث بدماء المسلمين من غير لين ولا هوادة ، سجل كل ذلك التاريخ بمداد من دماء ودموع .

وقيض الله سبحانه في ذلك الوقت لدحر هذه الفتنة العمياء ، والقضاء على اليأس الذي داخل قلوب المسلمين من العودة إلى القيادة و القوة ، ملوكاً كانوا من خيرة الحكام المسلمين ، سوف لا ينساهم التاريخ أبداً ، وهم عماد الدين الزنكي ، ونور الدين الزنكي ، والسلطان صلاح الدين الأيوبي ، الذين وفقهم الله سبحانه وتعالى لكسر قوى الصليبية وهزيمتها ، واسترداد بيت المقدس بعد أن استولى عليه الصليبيون إلى مدة تسعين عاماً ، و تنفس المسلمون الصعداء ، وهنيئ لهم العيش في ظل الحكم الإسلامي .

ولكن شرارة الصليبية ظلت كامنة تحت الرماد ، وجعلت ترفع رأسها بين حين وآخر ، في مختلف أقطار المسلمين ، وحتى بعد فتنة التتار العمياء التي كانت آخر محاولة للقضاء على الإسلام والمسلمين إلا أن الله سبحانه وتعالى جعلها ذريعة لانتفاضة جديدة للمسلمين ، واعتناق التتر والمغول بالإسلام ، وكونهم حرّاسا للدين الإسلامي .

وقد هجمت الصليبية العالم الإسلامي ، وداهمته بأشكال مختلفة وتحت أزياء وأغطية جديدة ، فتارة في صورة الاستعمار ، وتارة بإثارة الخلافات بين المسلمين ، وتوزيعهم بين فرق ونحل ، وإشعال نار العداوة

بينها ، وأخرى بزرع بذور الشكوك و الشبهات في نفوس الشباب المسلم ، وحيناً بتفنيد حضارة الإسلام ، وفرض مدنيتها على المجتمعات الإسلامية ، وأحياناً بالغزو الفكري و العلمي ، وأخيراً باشهار سلاح التفرقة العنصرية ، والجنسية بين بلدين أو قطرين ، فما أيام الحرب العراقية الإيرانية ، و الحرب الخليجية ، والحرب الأفغانية الروسية ببعيدة ، و ما جرى ويجرى إلى الآن في فلسطين على أيدي الصهيون ضد الأمة الفلسطينية لم يعد خافياً على العالم ، وما تنشره وسائل الإعلام من أخبار الإجراءات العسكرية التي سوف تنفذ ضد حكومة الطالبان في أفغانستان ، أليس كل ذلك سلسلة ممدودة ، وأشكالاً متنوعة مما يشبه الحروب الصليبية ، بل ويفوقها في الضراوة ، والوحشية ، عشرات المرات .

نحن الآن على فوهة بركان من الحقد والعداء على المستوى العالمي ، وليس لنا المنجي ، ولا الملجأ إلا الإسلام ، وهو سفينة النجاة من كل طوفان ، فلنلجأ إليها ، و لنتضرع إلى الله مخلصين له الدين ، فذلك هو الحل ، وذلك هو العلاج ، ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه .

ما أحرج عصرنا هذا الذي يتميز باختلال التوازن ، وفقدان الاعتدال في جميع المجالات الفردية والجماعية إلى إيجاد الإتزان في الأمور كلها ، والبحث عن مواضع الضعف في الحياة والمجتمع ، واستبدالها بقوة الإيمان ، والعودة إلى الحق والعدل ، والانصراف من الظلم والباطل .

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب * ولم يجعلْ لَه عوجاً *
قيّماً لِّينذر بأساً شديداً من لَّدُنْه * ويُبشّر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات
أن لهم أجراً حسناً * مّاكثين فيه أبداً ﴾ .

سعيد الاعظمي
٤/٧/١٤٢٢هـ

العلوم الإنسانية ، ووضعيتها في العالم اليوم

[٢/الأخيرة]

بقلم : سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
(رئيس ندوة العلماء العام - الهند)

أما الأمة الإسلامية ، التابعة للدين الإسلامي السماوي الخالد ، فما كان يجوز لها أن تستبدل الأدنى بالذي هو خير ، ولا أن تقوم بتغيير أو تمويع لمقوماتها و قيمها ، أما ما عدا ذلك من أمور الدنيا ، فلا بأس بها ؛ فقد سمح الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فيها بقوله ، إنه من أمر دنياكم ، وهي المعارف التجريبية التي لا تنفع ، ولا تضر في المجالات الأخلاقية ، والثقافية والدينية ، فكان على المسلمين أن يحذروا كل الحذر عند استفادتهم من أوربا في مجالات العلوم الإنسانية من الوقوع فيما يضرهم ، و يدخل عليهم الفساد ، فإن أخلاقية الحياة ، و منهجها في الإسلام خاضع للتعليمات السماوية السامية لا للتجارب البشرية الحرة ، فالإنسان في نظر الإسلام عبد لخالقه ، هو لم يخلقه عبثاً ، ثم إنه فرض عليه حدوداً ، ومبادئ للسلوك والسيرة ، وهي تحيط بحياة الإنسان المسلم إحاطة شاملة ، والله خالق الإنسان ، وهو يعلم حدوده وطبيعته ، ومدى صلاحيته الطبيعية في الحياة حقاً ، فالإنسان المسلم إذا أطلق عنانه ، في تقليد الأمم الأوربية المتحررة من طاعة الله ورسوله ، وأراد أن يسير في كافة منطلقاته ، فلابد من أن يصطدم في جوانب من المجالات الإنسانية بعراقيل تصده أو تصرفه

عن التزامه بمنهاجه الإسلامي السماوي ، فهو إما يكون تابعاً للمنهج العلماني الملحد تبعية عمياء ، فيكون في مؤخرة الركب الحضاري الحديث ، وإما يختط لنفسه طريقاً يتفق مع تراثه ، ومنهجه الأخلاقي الأصيل الذي يباركه كتاب الله ، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، فيكون رائداً وقائداً لا يقل عن غيره .

لكن الذي حدث هو أن هذا الإنسان المسلم استيقظ بعد سبات استغرق عدة قرون في الوقت الذي كانت أوربا بدأت تختار جميع الطرق المفضية إلى القوة والعلم ، فاندهش أمام بريق الحضارة الأوربية الحديثة ، وأمام تقدمها في العلوم الكونية ، وأمام اشتغالها الزائد بالبحث في العلوم الإنسانية كذلك ، وأمام إحرازها للقوة في الوسائل وللثروات المادية ، وللإبداع في العلوم الميكانيكية ، ثم أمام سلطانها السياسي و الفكري ، و أصيب بمركب النقص أمامها ، فلم ير لنفسه إلا أن ينجرف في التيار الأوربي ، و يتتبع خطاها في الحياة بدون أن يفرق بين ما يوافقها ، وما لا يوافقها ، وبدون أن يغربل ما يتلقاه من الغرب في غربالة الإسلامي الخاص ، فلا يتلقى في مجالات الثقافة ، و الفكر ، ومناهج الحياة إلا ما يتفق مع شخصيته الخاصة ، ومنهجه الإسلامي النبيل ، فسارع في اتباع الإنسان الأوربي في ثقافاته ، و نظرياته كلها ، و ترك حبل نفسه على غاربها ، و اقتبس أفكار أوربا اقتباساً بالجملة في جامعاته ، ومعاقل علمه وتعليمه ، واختار النظم التربوية بكاملها ، و نقل كتب العلوم الإنسانية نقلاً حرفياً ، وإذا وضع كتباً بديلةً منها وضع على شاكلتها بدون أن تخضع مضامينها للنقد الإسلامي أو تغربلها غربلةً تصبح متلائمة مع روحها وأهدافها .

و لا تزال الحالة في جامعات العالم الإسلامي اليوم ، كما كانت

في السابق في طريق الاستفادة من أفكار أوربا ، ودراسات رجالها ، وكشوفهم في علوم الثقافة والفكر ، لا يحاول المشرفون على النظم التعليمية في الجامعات والمعاهد أسلمة هذه العلوم ، حتى يحفظوا أجيالهم الصاعدة من الميوعة والانصهار في بوتقة الثقافة الأوربية التي إنما وضعها أشواب من علماء أوربا ، ومفكريها ، وفلاسفتها المتحررين الذين لم يكن يربط بعضهم مع بعض رباط أخلاقي ، وفكري نظيف .

ومما يؤسفنا أننا إذا قمنا بجولة استطلاعية علمية من الشرق الإسلامي الأقصى إلى الغرب الإسلامي الأقصى ، وقمنا بمسح النظم السائدة في جامعاتنا ، ومؤسسات تعليمنا و تربيتنا ، واستعرضنا مناهج التعليم فيها ، بل ومقرراتها لن نخرج من المسح إلا بأنها كلها نسخ طبق الأصل للمنهج الأوربي بعلاته وخصائصه المتعارضة مع طبيعة الشرق وطبيعة الإسلام .

فإذا استعرضنا علمي الاقتصاد والسياسة ، وعلمي التاريخ والجغرافيا ، وفني الأدب والنقد ، وعلم النفس ، وعلم التربية ، وعلمي الثقافة والتمدن ، لوجدناها أكثر أنحاء المعارف الإنسانية تأثراً بعقلية أوربا الجاهلية وفكرتها للحياة ، غير أن جاهلية أوربا هذه جاهلية متعلمة ، وليست جاهلية أمية ، بخلاف العهد الكافر قبل الإسلام ، فقد كان العرب فيه جاهلين وأميين .

ومقررات هذه الأنحاء من العلوم والمعارف في الجامعات والمعاهد التعليمية تشهد بذلك .

أما علم الاقتصاد فأشد ما خضع للعقلية اليهودية الربوية ، أو الفكرة الماركسية الجدلية الملحدة ، ولقد كانت قضية إنشاء المؤسسات اللاربوية قبل بضع سنوات حلماً من الأحلام الكاذبة ، بل تصورات

المتخلفين الدراويش ، و لكن الله أراد أن يبطل الباطل ، ويظهر الحق ؛ فأصبحت البنوك اللاربوية حقيقة واقعية لا يمكن إنكارها ، فقد أصبحت طائفة منها تعمل بنجاح في بقاع من العالم ، وكان ماركس يرى أن الدين أفيون الشعوب ، وحجر عثرة في سبيل التحرر من الحواجز المثبطة عن قضاء متطلبات الحياة ، ولكن نجاح المؤسسات الإسلامية في الاقتصاد والسياسة أبطل هذا الرأي .

أما السياسة ؛ فقد تخبطت في الغرب بين أفكار "روسو" حيناً ، و "ماركس" حيناً آخر ، و "ميكاولي" حيناً ثالثاً ، وقد تركت بأفكارها هذه أثراً كبيراً على عقلية من استفادوا من كتابات الغربيين أو اطلعوا على تطبيقاتهم العملية ، وذلك لأن الكتب المشتملة على آرائهم وأفكارهم تفعل فعلها في نفوس المستفيدين بها ، وسارت السياسة بمسارهم ؛ حتى أصبحت كأنها لا يمكن لها أن تسير على المنهج الإسلامي النزيه ، وأنه لا يمكن أن ينجح إلا باختيار فرع من فروعها المطبقة في الغرب ، فأبناؤنا في جامعاتنا يتلقون هذه المعاني والاتجاهات في مراكزهم التربوية ومن أساتذتهم .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن أن يسند منصب من المناصب إلى طالبه ، و بذلك سد باب الطمع والأثرة ، والحرص في المال والجاه ، و لكن الفكر الغربي للسياسة يبيح لراغب في منصب من المناصب أن لا يطلبه طلباً فقط ، بل ويبذل له كل سعيه ، فيقوم المرشح بكل وسائل الطلب من دعاية ، وتطبيق إلى حد التزوير والزراية بغيره ، ليصبح على كل حال رئيساً على القوم ، وإذا صار رئيس القوم ، فقد يلجأ حينئذ إلى اختيار سبل الاستغلال في مجالات الجاه والمال ، و قد يستعمل كل أسباب الظلم و المكر و الاحتيال للبلوغ إلى

مآربه ، و من المؤسف أن أذهان الناس تعودت ذلك أيضاً ، فلا يرجون له بديلاً ، أما الفكرة الإسلامية ؛ فالدعاية الأوربية ضدها ، جعلتها من الأوهام التي لا إمكان للعمل بها في الحياة الراقية المتقدمة الحاضرة .

أما علم التاريخ فأهم أنحائه ، هو تاريخ أوربا ، فإنه لابد لكل دارس في المدارس أن يطلع عليه جزئياً أو كلياً ، و لا بأس بعد ذلك في أن يبقى جاهلاً عن تاريخ أمته و بلاده ، أما تاريخ الإسلام والمسلمين ، فيأتي في مؤخرة الركب .

وكذلك الجغرافية يقرأ الطالب المسلم في جامعاته جغرافية أوربا وأمريكا ، وكل بلد توجد فيه أهمية سياسية أو اقتصادية كبيرة ، أما جغرافية مهد الإسلام ، وبلاد المسلمين ؛ فلا حاجة إليها ؛ لأنها لا تنفع كغيرها سياسياً أو اقتصادياً ، و كثيراً ما يقرأ الطالب جغرافية الأجانب أكثر مما يقرأ جغرافية وطنه ، وهو إذا قرأ جغرافية وطنه ، فلا يقرأ منها إلا جوانب سياسية واقتصادية وحدها ، أما الجوانب الخلقية أو الدينية ، ، والميزات الإنسانية و الأدبية ، فلا تنال أهمية في نظر مقرري المنهج أو واضعي المقررات .

وقد مررت أنا شخصياً من خلال تجربة في هذا المضمار: أردت تأليف كتاب على جغرافية شبه الجزيرة العربية ، و بحثت عن المصادر ؛ فلم أجدها ؛ كما وجدت مصادر لغيرها في ذلك الوقت ، أما ما أصبح يوجد منها الآن فإنما وضع أكثره بعد اشتهار هذه الجزيرة بثرواتها المعدنية والبترول ، أما الأدب والنقد فحدث عن البحر ولا حرج ، إنما يوجد في أصنافها الحديثة كل شئ إلا الإسلام ، فقد استولى عليها

أصحاب أفكار متعارضة عن الأخلاقية الإسلامية والدينية ، ومنهم المعجبون بأمثال : فرويد ، و وولتير ، و أبيقور ، و سارتر ، و هيدوجر وغيرهم .

أما علم النفس والتربية ، فنجد أنهما خاضعان لفرويد و دروين وغيرهما ، وهكذا الثقافة والتمدن إنما يسيران في ركب أخواتهما من المعارف المذكورة .

وإذا كان هذا الوضع في جامعات أوربا ومعاهدها ، فالذي حدث في تاريخها الأخير الذي امتلأ بالمعارك السياسية والاجتماعية ، ومعركة الدين والدولة ، والفوضى الخلقية كان يحتم لها هذا المصير ، أما الشرق الإسلامي الذي يملك خير مقومات الفضيلة في الحياة ، فلم يكن بحاجة إلى أي شئ من ذلك ، ففي كل مجال من المجالات الإنسانية صدرت له من إسلامه تعليمات ، و مبادئ كان ولا يزال يستطيع أن يبنى عليها كل جانب من جوانب حياته الإنسانية بخير منهج ، و خير طريق .

أما هذا الخليط الفكري المائع الذي يصدر إلى الشرق من الغرب عبر العلوم الإنسانية ، ولا تزال جامعاتنا تتلقاه بكل تقدير وإعجاب ، فإنه لا يبنى الأمم الشرقية والإسلامية إلا كما يبنى حائط من خليط الحصى والرمال لا يلبث إلا ويتساقط .

وأكبر مسئولية في ذلك تقع على جامعاتنا التي لم توفق في مناهجها ومقرراتها إلى الآن لاستبدال الأصيل الصالح بالذي هو مائع وفاسد .

* * *

نظرة واحدة على ماهية البارئ تعالى
في ضوء النظريات القديمة والحديثة

بقلم : فضيلة الأستاذ محمد شهاب الدين الندوي
الأمين العام للأكاديمية الفرقانية ، بنغلور - الهند
(تعريب : الأخ محمد وثيق الندوي)

إن المسائل المتعلقة بذات الله تبارك وتعالى ، و وحدانيته ، مذكورة في الكتاب والسنة في أسلوب واضح صريح لا غموض فيه ولا تعقيد ، و لكن أهل المنطق والكلام والفلسفة غاصوا في بحر المنطق والكلام والفلسفة ، وبحثوا هذه المسائل الواضحة ، ومحصوها ، ودققوا فيها ، فخرجوا منها باكتشافات فلسفية غريبة ، وأتوا بأبحاث كلامية معقدة ، و تدقيقات منطقية عويصة يستعصى فهمها على الإنسان ، ولكن هذه المحاولات المضنية كلها ذهبت أدراج الرياح سدى ، ولم تعد إليهم بفائده كبيرة ، فكما يقال : "تمخض الجبل فولد ناراً" و بعد عصر الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان حدثت بدع ومحدثات شوهت صورة الدين المتسمة بالشفافية والشريعة الإسلامية الغراء ، تشويهاً، وقضت الفلسفة اليونانية على البقية الباقية من روح الدين والشريعة ، فَخَدِش بذلك وجه الإسلام المشرق المتلائي ، و اغبرت معتقداته الواضحة الشفافة السليمة النزيهة من كل التلوثات والتجاوزات بسبب التدقيقات الفلسفية ، والمناقشات المنطقية ، والمناظرات الكلامية .

الإسلام والترقيع اليوناني :

إن المتكلمين القدامى قاموا بتدقيق المعتقدات الإسلامية تدقيقات أدت إلى طمس حقيقة الدين وجوهره ، وإن علم الكلام الذي كان وجوده

لمقاومة المنطق والفلسفة ، لم يبق إسلامياً صرفاً ، بل أخذ طابعاً منطقياً و فلسفياً ، جعله : "جنساً ثالثاً" بين النقل والعقل ، أي إنه لم يبق شرعياً بحتاً ، ولا فلسفياً صرفاً ، فأدخلت على عقائد الإسلام الأساسية بسبب الترقيع الفلسفي تعديلات وتحريفات ، وصارت هذه "المعتقدات المحرفة" مع مر الزمن عقائد ثابتة ، وحلت محل عقائد الإسلام المتفق عليها ، وبعبارة أخرى : حوّل أهل الكلام العقائد الإسلامية من العربية إلى اليونانية بعد ما كسوها لباس الفلسفة ، كأن صدر – العياذ بالله – تقصير من الله سبحانه ، ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم .

خضوع المعتقدات الإسلامية :

على كل ؛ قد انتشرت وذاعت في العالم الإسلامي الكتب التي ألّفها متكلمو الإسلام ، حول : العقائد من أجل صبغ عقائد الإسلام بصبغة فلسفية ولها جولة وصوله منذ القرون ، وأسدلت على المعتقدات الإسلامية الحجب السميكة – إلا ما شاء الله منها – وأصبحت مغلوباً عليها ، فمثلاً : إن الموضوعات و التساؤلات التي طرحت ، وأشيرت بهذا الخصوص كانت مرتكزة على أن الله ، هل هو جوهر ؛ أم لا ؟ هل له جسم ؛ أم لا ؟ هل هو متحيز في حيز ؛ أم لا ؟ وهل صفات الله سبحانه عين الذات الإلهية ؛ أو غيرها ؟ هل يستوى على العرش أم لا ؟ وهل يكون المعاد جسدياً ؛ أو روحانياً ؟ وما إلى ذلك .

تنظر الفلسفة اليونانية إلى الأشياء التي توجد في هذا الكون بأنها إمّا بسيطة أو مركبة ، المراد من البسيط العناصر المفردة التي تتكون من التراب ، والماء ، والهواء ، و النار ، كما تصرح بذلك نظريات العهد القديم ، و تسمى هذه العناصر بـ "العناصر الأربعة" ، فجميع الأشياء التي توجد في العالم تتركب من هذه العناصر الأربعة في الفلسفة اليونانية ، والمراد عن المركب الأشياء التي تتركب من هذه العناصر الأربعة : "زعم الحكماء أن العناصر

الأربعة ، هي الأركان التي تركب منها المركبات" (١) .

والقصد من المركبات المعدنيات والنباتات ،والحيوانات التي مصطلح الفلسفة بـ "المواليد الثلاثة" (٢) .

تأويلات مضحكة :

بعد ما ثبت أن كل شئ في العالم يتركب من هذه العناصر الأربعة ينشأ سؤال ؛ هل تتركب الذات الإلهية من هذه العناصر الأربعة أيضاً ؛ أم لا ؟ فعرضت أمام "المتفلسفين" بهذه المناسبة مشكلة ، وهي أن الأشياء المركبة أي الأجسام المادية إذا كانت تتغير وتتبدل طبيعياً ، أي أن أشكالها ، وصورها ، وألوانها ، وأوصافها ، طعمها وأحوالها تتغير مع مرّ الأيام بصورة مستمرة ، و تطرأ على الطبائع تطورات وتحولات ، فبناءاً على ذلك لا تبقى الأشياء على حالة واحدة ، فعبّرت المصطلحات الفلسفية عن هذه التطورات والتغيرات بأن "الأجسام لا تخلو من الحوادث" أي أن أجسام المواليد الثلاثة لا تخلو من الحوادث الطبيعية ، بل لا تزال تطرأ على أجسامها تحولات وانقلابات (٣) .

فإذا سلمنا أن الذات الإلهية متكونة من هذه العناصر الأربعة ، يكون معنى ذلك أن أحوال الله تبارك وتعالى البدنية تتغير ، وقد ثبت عن طريق المشاهدة : إن كل ما يعتريه تغير و تطور ؛ يكون حادثاً و فانياً ، و لا يكون وجوده ثابتاً دائماً ، فلأجل ذلك أوجد أهل الفلسفة عقيدة جديدة

(١) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم : محمد اعلى تهانوي ، الطبعة الجديدة : ١٣٤٠/٣، مكتبة لبنان ١٩٩٦م .

(٢) المصدر السابق : ١٦٦٨/٣ .

(٣) انظر : إلى مذاهب الإسلاميين : الدكتور عبد الرحمن بدوي: ٣٩٨/١ ، دار العلم للملايين ١٩٨٣م .

ليست إسلامية و لا يونانية ، من أجل مقاومة هذه "المشكلة المعقدة" ، والرد على "الفلسفة اليونانية" ؛ فأجمعت بهذا الصدد الطائفة الإسلامية القديمة المتفلسفة – المعتزلة – على "أن الله واحد ؛ ليس كمثله شئ ، و هو السميع البصير ، وليس بجسم ، ولا شبح ، ولا جثة ، ولا صورة ، ولا لحم ، ولا دم ، ولا شخص ، ولا جوهر ، ولا عرض ، ولا بذى لون ، ولا طعم ، ولا رائحة ..... وليس بذى جهات (١) .

فبناءاً على ذلك لا يمكن عند المعتزلة رؤية الله سبحانه بالأبصار بالرغم من كونه تبارك وتعالى واحداً ، وتعرف هذه النظرية بـ "نظرية التوحيد" – للمعتزلة ، و : " أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه ، لا يرى بالأبصار (٢) .

وإن هذه الرؤية تعارض ما جاء بهذا الخصوص في الكتاب والسنة موضحاً مفصلاً ، و لكن العقل مقدم على النقل عند المعتزلة ، لذلك تقول : إن التأويل في "النصوص" مشروع ، فعلى كل ؛ قد طرحت عقيدتها المصطنعة هذه أمام العالم بأسلوب مدعم ببراهين ساطعة ، ودلائل قاطعة مقنعة ؛ حتى أصبحت فيما بعد عقيدة لمتكلمي أهل السنة والجماعة بالإجماع تقريباً من وجهة النظر الكلامية .

ولكن مع ذلك سلّم أهل الكلام أن الله عزّوجلّ يرى بالأبصار يوم القيامة بالرغم من "هذه المنفيات كلها" ، يعنى أن الله سبحانه وتعالى كل شئ مع كونه ليس بشئ ، فنفي من جانب ، وإثبات من جانب آخر ، من الواضح أن هذا القول فيه تناقض كبير ، وإن العقل الإنساني يعجز من

(١) مقالات الإسلامية :أبو الحسن الأشعري : ٣٣٥/١، المكتبة العصرية – بيروت ، سنة ١٩٩٠م .

(٢) نفس المصدر : ٣٣٨/١ .

تسليم هذين القولين في آن واحد ، لأنهما متناقضان ، واجتماع الضدين أمر محال في نظر العقل .

لو لم توجد في المعتقدات الإسلامية دلائل ترجح كفة "الإثبات" مقابل "النفى" لكان من الممكن جداً أن يتمّ الاتفاق على أن الله تبارك وتعالى ، ليس بشئ ، ولكن توجد – بفضل الله تعالى ومنه – في الشريعة الإسلامية نصوص واضحة ، وأحكام صريحة جلية تستطيع منع الناس من الجرأة على هذا الإقدام المتطرف الشائن في كل عصر ومصر ، فقال الله عزّوجل في كتابه المجيد : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة/٢٢-٢٣] .

وحدانية الله تعالى وعقيدة السلف :

إن عقائد الإسلام بينة واضحة للغاية ، ونزيهة من كل شوائب الفلسفة والكلام يستطيع فهمها كل من العامة و الخاصة فهماً صحيحاً بغاية من السهولة ، فمثلاً : إن الله عزّوجل وحيد فريد لا شريك له ، ومتصف بصفات مختلفة ، ويحمل قوى عظيمة ، وهو خالق الكون كله ، ورازقه وصانعه ، و هو متسم بصفات منفردة عن جميع ما بين الأرض و السماء ، و ليس كمثله شئ في العالم ، وهو يستوي على العرش ، كما قال عزّوجل : ﴿ الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ، ولكننا لا نعلم أي شئ عن كيفية استوائه سبحانه وتعالى على العرش وكيفيته ، و هو يدبر الأرض و السماء ، ولا يخفى عليه شئ في العالمين ، وهو الحكيم الخبير ، ولا شريك له في العالم ، ولا ندّ : ﴿ هُوَ اللَّهُ الأَحَدُ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ * وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ وهو منفرد في ذاته وصفاته ، ولا يتحلل في شئ ، ولا شئ يتحلل فيه عزّوجل .

فعلى كل ؛ قد أجمع جميع السلف الصالح على أنه يجب على الإنسان أن يؤمن به عزّوجل ، كما بيّن نفسه في كتابه الخالد المبين ، وأما السؤال عن حقيقته الأصيلة ، فلا يستطيع أحد أن يطلع عليها ، و لا أن يبحث عنها ، و لم يكلف ربّ العالمين عباده بذلك ، فتتطلب منا سلامة

إيماننا أن لا نتجاوز عن حدودنا ، ولا نتكلم بشئ ليس لنا به علم بشأن الله تعالى على أساس الظن والقياس لأنه نهانا عن ذلك بقوله : ﴿ ولا تقف * ما ليس لك به علم ﴾ [بني إسرائيل/٣٦] لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن كيفية الاستواء على العرش ، قال جملة تاريخية تمثل عقيدة سائر السلف الصالحين : الاستواء معلوم ، وكنهه مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

عجز العقل الإنساني :

يمكن الاعتراض على "هذه البساطة" بعقائد الإسلام أن مثل هذا القول غير كاف لإقناع الإنسان في هذا العصر العلمي الراقي ، و لا تطمئن به القلوب ، ولا تقتنع به الأذهان ، والطبائع المتجسسة الباحثة عن حقيقة الأشياء في هذا العصر الراهن ، بل نفسية العصر المعاصر؛ هي أنها تبحث عن أسباب الأشياء وعللها ، وهي تنظر إلى كل شئ بعين العقل .

و الردّ على هذا الاعتراض هو أن الإنسان لا يعلم شيئاً عن حقيقته و جوهره ، ولا يعلم ؛ ما هي روحه ؟ ومن أين أتت ؟ بل لا يعلم ؛ ما هي المادة ؟ وما هي حقيقة الذرات المادية : (العناصر و الجواهر) ؟ وكيف وجد إلكترون (Electron) ، والبروتون (Proton) ، والذرات الأخرى (Elementary Particles) (الذرات الأساسية أو الدقائق الأولية) التي تتعلق بهما ؟ ثم كيف يشكل كل ذلك عناصر وجواهر بالتعامل فيما بينهما ؟ لماذا تبقى المماثلة بين هذه الذرات المادية ؟ ولماذا توجد في الإلكترون شحنة كهربائية سلبية ؟ وفي البروتون شحنة كهربائية إيجابية ؟ وما هي حقيقة هذه الشحنة الكهربائية السلبية والإيجابية وماهيتها ؟ وكيف تنشأ الأشياء من العناصر والجواهر ؟ و كيف يحدث و يظهر اختلاف ألوانها و طعمها ، و تنوّع خصائصها ؟ و ما إلى ذلك .

ليس من الممكن الردّ على مثل هذه التساؤلات الفلسفية من وجهة نظر العلوم الطبيعية ، لأن الإنسان ليعجز عن العكوف على جوهر هذه الأشياء وخواصها ، وسرّ أغوارها ، وإدراك كنهها وحقيقتها ، فلأجل ذلك

يعترف جميع فلاسفة هذا العصر الحديث وعلماؤه الطبيعيون بهذه الحقيقة وهي أن الإنسان لا يستطيع إلا معرفة طواهر الأشياء (Phenomena) ، و لا يقدر على إدراك بواطنها (Nomena) في أي حال من الأحوال ، فمثلاً : أن الإنسان لا يعلم عن الذرة (Atom) شيئاً إلا أن "جوهر الفرد" الذي قررته رؤية العهد القديم غير قابل للتجزئة والتقسيم ، قد تجزّأ وانقسم إلى الإلكترون والبروتون ونيوتران ، وقد توسعت توسعاً كبيراً معرفة الإنسان بالذرات الداخلية التي توجد في داخل الذرة ، و يمكن تقدير سعة معرفة الإنسان ، و علمه بان علم "الذرات النووية" (Nucleus) التي توجد الجوهر و الذرة ، قد أصبح قسماً مستقلاً يعرف بـ "الطبيعيات النووية" (Nuclear Physics) في هذا العصر الراقي ، و مكّن هذا العلم الإنسان من الانتفاع من القوة العملاقة (القوة الذرية) الكامنة في ذرات العناصر المختلفة انتفاعاً حضارياً بعد الحصول عليها ، بإجراء : "عملية التجزئة والتحليل" (Fission) في ذرات العناصر المختلفة ، وفي جهة أخرى يضع في هذه القوة العملاقة قنابل ذرية وهيدروجنية مدمرة للغاية .

حدود علم بني آدم :

هذا جانب واحد لصورة الاستفادة العملية من الذرة أو الجوهر، إنه ليس باستطاعة الإنسان إلا أن يستخدم هذه الأشياء المادية ، ويستفيد من الطاقات الموجودة فيها فقط ، و لكن هناك جانباً آخر لهذه الصورة وهي أن الإنسان ليس له أدنى إلمام بفعاليات هذه الأشياء وعللها الداخلية ، يعني : إن الإنسان لا يعلم شيئاً عن كيفية فعالية الخواص الطبيعية الموجودة في هذه الأشياء ، و كيف تنشأ و تحدث هذه التغيرات و التطورات عن طريق كيمياويّ ؟ لأن ذلك لا يرتبط بـ "عالم الشهادة" ، بل يرتبط بـ "عالم الغيب" ، وليس هناك أحد من البشر يستطيع خوض هذا المضمار .

فعلم الإنسان ومعرفته تنحصر في أسماء الأشياء فحسب ، وأما معرفة أحوالها الداخلية ؛ فهو لا يعلم عنها أي شئ ، بل هو واحد محض ، فلأجل ذلك لم يعلّم الله تعالى آدم إلا أسماء الأشياء ، ولم يؤت أي علم عن

كيفياتها الداخلية : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة/٣١] .

فإنما الإنسان في الواقع لا يعلم إلا أسماء الأشياء منذ خلق آدم عليه الصلاة والسلام إلى يومنا هذا ، ولم يضف إلى ذلك ، مثل : حبة خردل بالرغم مما أحوزه من تقدمات هائلة شاملة في مجال علوم الطبيعية .

فتوى بلا علم :

على كل حال ؛ إن الإنسان إذا لم يعرف حقيقة المادة ، ولم يعرف حقيقة الأشياء ، ولم يعلم شيئاً عن أسباب الخواص الموجودة في الأشياء ، حتى لا يعرف كنهه وجوهره ، فكيف يمكنه إدراك كنه خالقه وربه الأعلى ، وحقيقته وماهيته ، الذي يملك طاقات وقدرات مذهلة لا حدّ لها ولا نهاية ، ولا ندّ له ولا مثيل ، ولا كفؤ له ولا نظير ، بل هو مختلف تمام الاختلاف عما في الكون ، فيقتضي إيماننا أن نؤمن مائة في المائة بالله سبحانه وتعالى ، كما عرّف نفسه بنفسه في القرآن الكريم ، و كما شرح وفسر ذلك رسوله الأكرم المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ولا نحاول إدراك كنهه وحقيقته ؛ لأن ذلك لا يعود إلينا بأي فائدة ، ولا نأتي في عقائد الإسلام بتأويلات باطلة اعتماداً على علمنا الناقص المحدود ، فنشوه صورة العقائد الإسلامية النقية الصافية الواضحة ، و لأنه سيعرّض إيماننا للخطر ، وكل تأويل من مثل هذا النوع يعدّ من قبيل "فتوى بلا علم" تستنكره الشريعة الإسلامية أشدّ الاستنكار.

وعلى كل ؛ قد اجمع جميع السلف الصالح على أنه يجب الإيمان بكل ما قاله الله تعالى بشأنه بدون سؤال عن الكيف ، ولا نقول عنه بشئ من عند أنفسنا ، فنشوه صورة عقائد الإسلام الحقة الصحيحة .

الفلسفة القديمة المنهارة :

إن الفلسفات القديمة ، والبحوث والموضوعات التي تتعلق بالإلهيات تدور حول : "حدوث العالم و إثبات صانعه ، و الجوهر والعرض ، والصورة الجسمية والهيولى ، ومحور جميع هذه البحوث ، ومركزها الذات الإلهية وصفاتها ، ولكن هذه البحوث كلها تخلو من الرويّة و المشاهدة ، و التجربة والاستقراء ، بل هي مزاعم ادّعائية بحتة بنيت على الظنّ والتخمين و القياس

فحسب ، فلا يوجد في الإلهيات اليونانية دليل تجريبي أو برهان مرئي لإثبات مزاعمها ، لذلك قد أصبحت الرؤي اليونانية قديمة لا تجدى نفعاً في نظر الاكتشافات العلمية الحديثة ، فلم يبق حدوث العالم مسألة ، لأن العلوم الطبيعية الحديثة ، قد سلمت كحقيقة مسلمة : إن العالم كله قد حدث و ظهر إلى حيز الوجود بانفجار مفاجئ في وقت مقرر (١) ، كما يبدو من رؤية الانفجار العظيم (Big bang theory) ، وبناءاً على هذه الرؤية يقال : إن العالم قد بلغ خمس عشرة ومائة مليار سنة من عمره تقريباً ، وكذلك قد أصبحت كافة الرؤي والتصورات التي تتعلق بالجوهر و العرض ، و الصورة الجسمية والهيولى ، أسطورة من الأساطير، وأحدوثة من الأحاديث القديمة ، لأنه يوجد في الكون كله ٩٣/نوعاً من العناصر الطبيعية التي تتركب من عدة ذرات كهربائية (الإلكترون ، والبروتون ، ونيوتران ، و ما إلى ذلك) ، و لا يوجد في ذلك أي أثر للصورة الجسمية والهيولى ، ذاك أنه لا يمكن رؤيتها بالمجاهير فضلاً عن الأبصار .

أما مسألة الذرة أو الجوهر ، فإن اعتبرناه "بسيطاً بدنياً" فإن هذه الرؤية ستكون قريبة من الصحة ، وإن اعتبرناه "بسيطاً روحانياً" ، فلا يكون له أي وجود في نظر علوم الطبيعة الحديثة والفلسفات الجديدة ، لأن الجوهر لا يطلق إلا على الأشياء المادية ، وأما العقل والروح اللذان يعرفان في الفلسفات القديمة بـ "بسيطين روحانيين" ، فلا يكونان جوهراً يترادف الذرة مهما كانت حقيقة العقل والروح ، لأن المادة ليست إلا عبارة عن ذرة مادية يتفرع منها ٩٣/قسماً في هذا العصر من وجهة التجارب والمشاهدات عن طريق الاستقراء .

والجدير بالذكر بهذه المناسبة : إن الروح شئ غير مرئي وغير ملموس لا يطلق عليه اسم الجوهر ، بل نزلت الروح بإذن الله سبحانه وتعالى على طريق غير ملموس ، ولو كانت شيئاً ملموساً لاكتشفه علوم الطبيعة إلى الآن .

[للبحث صلة]

(١) هذا تصديق للتفسير القرآني وتأييده : راجع سورة الأنبياء/٣٠ .

من الاستعمار و التنصير
إلى العولمة والعلمانية !!

بقلم : الدكتور عبد الحليم عويس
(مفكر إسلامي - مصر)

= خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين كان الإنسان الأوربي ينظر إلى خريطة العالم ليحدّد المواقع التي يظن أنها تحتاج إليه ، أو التي يحتاج هو إليها ليسلبها موادها الخام ، أو ليأخذ (بشرها الخام) عبيداً وعمالاً في إقطاعياته ومصانعه ، أو ليرسل إليها - ابتداءً - قوافل التنصير لتمهّد له الأرض ، فتعلّم الناس فقدان الولاء ، وتقدم لهم القبول بالفكرة العنصرية التي تحقق هيمنة الإنسان الأبيض ...

= أما الإنسان غير الأبيض فعليه أن يطمع في ملكوت السماء ، وأن يزهد في هذه الأرض أو ييأس من حقه فيها ، لأنها ملك للإنسان الأبيض وحده ، وعليه - أيضاً - أن يؤمن بأنه - كذلك - خلق عبداً أو شبه عبد ، و لا داعي لمناطحة رجل الأقدار ... (الإنسان الأوربي الأبيض ..) !!

وفي الكنيسة يمكن أن تتحقق له السكينة والاستسلام ، وتقدم له كل البدائل التي تحذّره وتقنعه بقبول الأمر الواقع !!

وخلال القرن العشرين حدث تطور خطير في الوعي الإنساني ... فلم يعد الإنسان الأوربي قادراً على أن يتعامل مع خريطة الأرض هذا

التعامل الاستعلائي التبشيري الاستعماري الذي كان يتعامل به في القرنين السابقين .

... ولهذا جاءت فكرة (العولمة) أسلوباً آخر يصل به الإنسان الأوربي (ذو الخلفية الاحتلالية) إلى تحقيق أغراضه ... بالأساليب القديمة نفسها ، بل بما هو أسوأ منها ... ففي تخطيطه أن يعود إلى امتلاك خريطة العالم - من جديد - بتفريغها من مضامين الاستقلال الصحيح ، وبالقضاء على أربعة أخماس العالم عن طريق آلياته العالمية كصندوق النقد ، و مؤسسة الجات ، ومجلس الأمن ...

لقد فشل التبشير والاستعمار وملكوت السماء ... فلتبدأ مرحلة التبشير بالعولمة والعلمانية وملكوت الأرض الوهمي !!

وفي تصورنا - بصرف النظر عن الدين والأخلاق اللذين لا يؤمن بهما المشروع الحضاري الأوربي - أن الإنسان الأوربي من حقه أن يحدد مصالحه بالطريقة التي يراها مناسبة ، (مع إدانتنا لمنهجه المستبعد للدين والأخلاق والمنظور الإنساني) ...

= لكن المشكلة - في الحقيقة - ليست في هذا الاستعمار المنسجم مع مصالحه ، والذي جاءنا يوماً رافعاً راية : (الاستعمار والتبشير) ، ثم جاءنا أخيراً رافعاً راية : (العولمة والعلمانية) ليحقق أهدافه نفسها .

نعم المشكلة ليست في الاستعمار ومصالحه ...

وإنما تكمن المشكلة ... في جوهرها - في العرب والمسلمين ... إنها ليست مجرد مشكلة ، وإنما هي مأزق حضاري خطير ...

ففي مواجهة (الاستعمار والتبشير) خلال القرون السابقة ، كانت هناك مبررات نفسية جماعية لمواجهة المحتلّ ، وكان الإسلام يغذّى هذه

المبررات ويعطيها وقودها ، ويجعل مواجهة (الاحتلال وتوابعه) فرض عين وفرض كفاية .

وكانت الروح ومعها التاريخ برصيده الحضاري الإسلامي الرائع يتحركان لمقاومة الاحتلال والتنصير ...

= أما في المرحلة الأخيرة (مرحلة العولمة والعلمانية) فقد كان الاستعمار ذكياً ، حين أعدّ العدّة للقضاء على مبررات المقاومة و وقودها المتمثل في الروح القرآنية ، وفي فروض الكفاية والعين الإسلامية ، بل إنه عمد إلى تشويه كل من يرفعون شعار الاحتماء براية الإسلام ، فوسمهم بالأصوليين والتطرف مستغلاً – كذلك – قطاعاً من المسلمين المنافقين المتعاونين معه ، و مستغلاً – أيضاً – أخطاء بعض الصغار العاطلين أو بعض العملاء الذين يستأجرهم في تشويه الإسلام ، ويدفعهم دفعاً إلى التطرف تحقيقاً لأهدافه

و المؤلم – و الخطير– كذلك – أن كثيراً من المسلمين استسلموا لتنحيته الإسلام عن مواجهة (العولمة و العلمانية) ، بل إنّ هناك نُخَباً في مواقع تأثير خطيرة تقف في خندق العولمة والعلمانية ، وتفرضهما بأساليب عنيفة أحياناً ، وخبيثة ماكرة في أغلب الأحايين !!!

= ومعنى ذلك أن الأمة في حالة انشطار ، وأن أكثر طاقتها ستبدد في مواجهة الذين يحاربون إسلامها ولغة قرآنها من داخلها ، ويفرضون – حتى في شوارع البلاد العربية – الأسماء الأجنبية ، ويروجون اللّغات الأجنبية ، على حساب اللغة العربية ، حتى في البلاد التي دفعت ملايين الشهداء من أجل القرآن ولغة القرآن ... كما أنهم يحاربون صور الالتزام بالإسلام ، و صور الانتماء له ... مهما كانت مشبعة بالتسامح والعقلانية

وأخلاقية الوسائل ، ونزاهة الغايات !!

= إنّ هذا هو المأزق الحقيقي ...

وإذا كان الاستعمار والتبشير قد فشلا في الجولة الأولى لوجود مبررات مقاومة لدى الأمة بكل شرائحها – باستثناء قليل من الخونة المحدودين ...

= فهل ينجح الاستعمار اليوم (بعولمته و علمانيته) في تحقيق ما عجز بالأمس عنه ؛ بفضل جماعة المنافقين الذين يقفون في خندقه ، ويروجون لمبادئه ، وينشرون الإلحاد والانحلال في بعض بلاد العروبة والإسلام ؛ بل إنهم ليفرضونهما أحياناً بالقوة البوليسية !!

ومن البديهي أن المستقبل بيد الله .. ، لكن الأمة الإسلامية في مأزق خطير ، وهي في حاجة ماسة إلى بعض القيادات التي تؤمن بأن الإسلام ، هو الحق ، وبأنه حجة الله البالغة ، وكلمته الخاتمة ... وبأن (الله أكبر) من كل قوى الأرض المفسدة ، وبأنه سبحانه غالب على أمره ... وبالتالي تبيع هذه القيادات نفسها لله ، وتقود الأمة إلى طريق مقاومة الإلحاد ، وغرس بذور الإيمان !!

= تُرَى : هل يُكرمنا الله بمن ينصرون دينه ، وينقذون أمته ؟!

اللهم انصر الإسلام بأحبّ القيادات إليك ، كما نصرته قبل بأحبّ العُمرين إليك : عمر بن الخطاب !!

* * *

الدعوة الإسلامية :

دور الأمل في بناء الحياة الإنسانية

[٢] بقلم : الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد
(جمهورية مصر العربية)

لو علم أن الخير باق في هذه الأمة ، ولن ينعدم أثره أبداً إلى يوم الدين ، وإنها لن تخلو من قائم لله بالحجة ، ومن ناصر للحق مستمسك به حتى تقوم الساعة ، روي أحمد والشيخان : إن الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، قال : "لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس" ، ويؤكد هذا ما رواه أبو مالك الأشعري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله أجاركم من ثلاث خلال ، ألا يدعو عليكم نبيكم ؛ فتهلكوا جميعاً ، وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وألا تجتمعوا على ضلالة" [رواه أبو داود] .. (١٦) ، فمن يتعرض للخيانة والغدر ، أو يسلب حقه ، أو يفقد غالياً أو عزيزاً ، أو يضيق رزقه هنا أو هناك ، أو يجد فشلاً في هذا أو ذاك من الأعمال ، فسيجد ضالته عند غيرهم ، وفي غيرها من بقاع المعمورة ، فلا دنيانا و لا عالمنا هذه الأرض ، و هؤلآء الأشخاص فقط ؛ فكلاهما أكبر وأكثر من ذلك بكثير ، وللدنيا أحوال وطبائع ، لم ولن تتغير ، منذ قديم الأزل وحتى قيام الساعة ، سواء لنا أو لغيرنا ، وعلينا أن نعيشها كما هي فهي منغصة اللذات كثيرة التبعات جاهمة المحيا كثيرة التلون ، مزجت بالكدر وخلطت بالنكد ، و الإنسان منها في كبد ، و لن يجد والداً أو زوجةً أو صديقاً أو نبيلاً ولا مسكناً و لا وظيفةً إلا وفيه ما يكدر، ولا يصفو فيها

صاحب ، ولا يكمل فيها أمر ، لأن الصفو والكمال والتمام ليس من شأنها ولا من صفاتها ... (١٧) ، وأن سرور الفرد فيها مقرون بمساءة غيره ، وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره ، قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : "ما قرعت عصا على عصا إلا فرح لها قوم وحزن آخرون" وقال المتنبي :

بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد ... (١٨)

لو علم أن اليأس ، وهو ضد الأمل ، لا يعوض ما فات ، ولا يرد غائب ، ولا يفك أسيراً أو معتقلاً ، ولا يحرر بلداً ، ولا يجلي مستعمراً ، ولا يزيح همّاً أو غمّاً، ولا يشفي مريضاً ، ولا ينصف مظلوماً ، ولا يغني فقيراً ، ولكنه يقتل الهمم ، ويخدر العزائم ، ويدمر الطموحات ، ويحطم في النفس بواعث العمل ، ويوهي في الجسد دواعي القوة ، إنه سم بطئ لروح الإنسان ، و إعصار مدمر لنشاطه ، إذا تغلب على إنسان أسودت الدنيا في وجهه ، وأظلمت في عينه ، وأغلقت أمامه الأبواب ، وتقطعت دونه الأسباب ، وضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وأصبح لا يدري ، وإن كان دارياً أقُدّامه خير له أم وراؤه ، ورحم الله من قال :

واليأس يحدث في أعضاء صاحبه ... ضعفا ، ويورث أهل العزم توهينا

وقال ابن مسعود الهلاك في اثنتين : القنوط والعجب ... (١٩) ، و المؤمن لا يعرف القنوط إلى قلبه سبيلاً ولا يغلبه اليأس ، فقد علمه القرآن أن القنوط من لوازم الضلال ، واليأس من توابع الكفر ، قال تعالى في سورة الحجر/٥٦ : ﴿ ومَن يَّقنط من رَّحمة ربه إلا الضالون ﴾ ، وقال عزّوجل : ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ [سورة يوسف/٨٧] ، وقد قال قائل : لا يأس مع الحياة ، ولا حياة مع اليأس ... (٢٠) ، ولكن ولم اليأس ؟ فقد مرت بالأمة الإسلامية ، مثلها كأي أمة ، فترات عصيبة في حياتها ، ولكنها خرجت منها أشد صلابة وأكثر قوة ، فقد زحف إليها الغرب الصليبي غازياً، وهو يحمل في صدره حقداً أسود على الإسلام وأهله ،

وطمعا في خيرات بلاده ، وانتصر الصليبيون في بدء الأمر ، وأقاموا لهم ممالك و إمارات في ديار الإسلام ، و دخلوا بيت المقدس بعد مذبحة قتل فيها عشرات الألوف ، وجرت الدماء للركب ، وبقي الصليبيون في الشام ، نحو مائتي عام ، وبقي بيت المقدس في أيديهم تسعين سنة كاملة ، ثم هيأ الله للإسلام رجالاً صمموا على أن يقاوموا العدوان ، و أن يستردوا الأرض المغتصبة ، ويستعيدوا الحق السليب ؛ فكان عماد الدين زنكي ، وابنه البطل نور الدين محمود الشهيد ، و تلميذه القائد المظفر صلاح الدين الأيوبي ، الذي كتب الله له النصر على الصليبيين في معركة حطين الشهيرة ، وفتح بيت المقدس ، وأعيد إلى أمة الإسلام ، كما تعرض الإسلام للغزو من الشرق على أيدي التتار الوثنيين الذين هجموا على بلاد الإسلام كالريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وقد ظهروا والمسلمون ضعفاء متفرقون ليس لهم قيادة قوية تجمع صفوفهم ، و لا نهضة إيمانية توقظ شعوبهم ، والتتار كانوا في ذلك الزمن قوة عسكرية عاتية لها قيادة مهيبة مطاعة ، فسقطت البلاد في أيديهم بلداً ، بلداً، والنصر يغري بالنصر، والظفر يدفع إلى الظفر ، حتى كان المثل السائر في ذلك الزمان ، إذا قيل لك : إن التتار قد انهزموا ؛ فلا تصدق ! إنها أسطورة القوة التي لا تقهر تتكرر ما بين عصر وآخر ، وأخيراً زحفوا على عاصمة الخلافة العباسية بغداد دار السلام ، و أرقى بلاد الإسلام ، فسقطت تحت ضرباتهم ، وسالت الدماء انهاراً ، وأسود نهر دجلة من كثرة من ألقى فيه من كتب الحضارة ، ولم تكد تمضي سنوات حتى تحققت معجزة الإسلام مرتين ، انتصر الإسلام على التتار عسكرياً في معركة عين جالوت بقيادة القائد المملوكي الصالح سيف الدين قطر ، وانتصر الإسلام مرة أخرى معنوياً ، فإذا هؤلآء الجبابرة الذين غزوا الإسلام يغزوهم الإسلام ، وإذا سيف الغازي المصلت يسقط أمام تأثير العقيدة الإسلامية ، و إذا الغالبون يدخلون

في دين المغلوبين !! وبعد غزو نابليون لمصر ، و بعد الانهيار والتمزق المتتالي للإمبراطورية العثمانية تنبأ الكثير من السياسيين والمستشرقين باختفاء الإسلام تماماً ، وفي غضون حياتهم ! وقد خيب الله ظنهم فها هي أعداد المسلمين في تزايد مستمر ، وها هي المساجد تنشر في العالم كله ، وبل ويرفع الآذان للصلاة في عقر ديارهم ، وتقام فيها سائر شعائر وعبادات الإسلام ، ولا يتوقع اليوم أحد أن يختفي الإسلام ، ولكن أن يمتد بل وينفجر ! و قد وضع جنرالات الناتو في حسبانهم أن أكثر المواجهات العسكرية احتمالاً في المستقبل لن تكون بين الشرق والغرب ، و لكن بين الشمال والجنوب ، فالإسلام هو عدوهم المتنامي المرتقب ... (٢١) ، والتشاؤم لا يختلف عن اليأس في أنه يقعد بكل همة ، ويثبط من كل عزيمة ، ويؤدي بكل أمل وعمل ، والمتشائم لا ينظر إلى الدنيا إلا بمنظار أسود بغيض ، فلا يرى سوى القبح والسلبيات ... (٢٢) فهو يعيش في خضم أليم من ذكريات الماضي وهواجس المستقبل ، يستعيد الذكريات الفائتة لمصائب الدهر ، ويجتر آلامها شهوراً وأعواماً ، يعض على الأيدي ويقلب الأكف ، أسفاً على ما فات ، وحسرةً على ما مضى ، و يبكي على أمس الذاهب ، و المستقبل عنده لا يحمل بين طياته إلا الكوارث والمصائب ، بل ويعتصره الحزن ويكويه الألم ، كما لو كان يعيشها ويدركها في لحظته هذه ، ويبكي لأنه سوف يجوع غداً ، وسوف يمرض بعد سنة ، وسوف ينتهي العالم بعد مائة عام ، كما يفعل كثير من القائمين على التخطيط في هذا العالم حيث يتوقعون الفقر، والجوع ، والعطش ، و العري ، والمرض لمعظم سكان الأرض ؛ فهذا كله من مقررات مدارس الشيطان ، قال تعالى : ﴿ الشيطان يعدكم الفقر * ويأمركم بالفحشاء * والله يعدكم مغفرةً منه * و فضلاً ﴾ [البقرة/٢٦٨] فلا أحد منهم يدري هل يحال بينه وبين الغد أو يلقاه ، فإذا هو سرور وحبور ، وإن إعطاء الذهب مساحة أوسع للتفكير في المستقبل ، وفتح كتاب الغيب ، ثم

الاكتواء بالمزعجات المتوقعة مذموم عقلا لأنه مصارعة للظل و ممقوت شرعا لأنه طول أمل ... (٢٣) ، فقد ورد : "أربعة من الشقاء ، جمود العين ، وقسوة القلب ، و طول الأمل ، والحرص على الدنيا" [رواه البزاز عن أنس] ، وقال سيدنا علي رضي الله عنه في خطبة له : إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وأما طول الأمل فينسي الآخرة ... (٢٤) وفي الأثر إذا أصبحت ؛ فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، و المعنى أن تعيش في حدود يومك فحسب ، فلا تتذكر الماضي ، و لا تقلق من المستقبل ، يقول أحد السلف : يا ابن آدم ! إنما أنت ثلاثة أيام ، أمسك ، وقد ولي ، وغدك ، ولم يأت ، ويومك ، فاتق الله فيه .

قال الشاعر :

ما مضي فات و المؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها ... (٢٥)

ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتفاءل ولا يتشاءم ، ليكون التفاؤل بذلك مسلكاً للبشرية كلها في مناحي حياتها اقتداء بطريقته واهتداء بسنته ، ولا يقصد بالتفاؤل إغماض العيون عن الحقائق ، وما يترتب على مقدمات الأمور من نتائج ، و إنما يقصد بالتفاؤل أن نعتاد النظر إلى الأشياء بعين الأمل لا بعين التخاذل ، وأن يكون منظارنا للحياة بنور الرجاء لا بظلام اليأس ، و أن نرقب حلول الرحمة بدلاً من إحلال القنوط ... (٢٦) .

لو علم أن الملك كله بيد الله ، خالقه ومدبر أمره ، يفعل ما يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير ، وهو على كل شئ قدير ، إن شاء أغنى الفقير ، وأفقر الغني ، وقوى الضعيف وأضعف القوي ، وشفى المريض ، ويسر على المعسر ، وأعز الذليل ، وأذل العزيز ، وقد يغيث الملهوف ، وينفس عن المكروب ، وقد ينصر المظلوم ،

وقد يستدرج الظالم ، ويملي له سنين حتى يتوهم أن الله قد نسيه ! وقد يأخذه في لمح البصر أو هو أقرب ، يفعل ذلك بأسباب معتادة معروفة ، وقد يفعله بأسباب غير مألوفة ، لا حجر على مشيئته ، ولا ينازعه أحد في سلطانه ... (٢٧) والله سبحانه وتعالى عليم خبير بصير بعباده يعلم أمرهم ، ويقدر لكل منهم ما فيه صلاحه ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي ، يقول الحق تبارك وتعالى : "إن من عبادي من صلاحه في الغنى ؛ فلو أفقرته لفسد حاله ، ومن عبادي من صلاحه في الفقر ، فلو أغنيته لفسد حاله ، ومن عبادي مَن صلاحه في العافية ، فلو أمرضته لفسد حاله ، ومن عبادي مَن صلاحه في المرض ، فلو عافيته لفسد حاله" [سنن النسائي] ... (٢٨) ، وفي حديث صحيح عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "لا يقضي الله قضاء للعبد إلا كان خيراً له" ... (٢٩) ، وأن أمر قضاه الله لابد أن ينفذ لا محالة ... (٣٠) ، وليس للعبد أن يتحكم في قضاء الله وقدره ؛ فيرضى بما شاء ، ويرفض ما شاء ، فإن البشر ما كان لهم الخيرة ، بل الخيرة لله تعالى لأنه عالم الغيب المطلع على السرائر ، العالم بالعواقب المحيط بها ، والسكينة النفسية لا تتم بمعاكسة الأقدار ومضادة القضاء بل بالتسليم والإذعان والقبول لأن مدبر الأمر حكيم لا يتهم في قضائه وقدره ، سواء وافق هوى العبد أم لم يوافق ، قال تعالى في سورة البقرة/٢١٦ : ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً * و هو خير لكم * وعسى أن تُحبّوا شيئاً * و هو شرّ لكم * و الله يعلم * و أنتم لا تعلمون ﴾ ... (٣١) ففكر فيما منحك الله إياه لا فيما سلبه منك ، و انظر لمن هو دونك في الدنيا ، و لمن هو فوقك في الدين ، ففي الحديث : "انظروا إلى مَن هو أسفل منكم [أي في متاع الدنيا] ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم ، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم" [رواه البخاري] ... (٣٢) ، فهل هي مسألة سهلة أن تجد وطناً يحتضنك ومنزلاً يأويك ، بينما غيرك يفترش الأرض ، ويلتحف بالسماء لاجئاً ، لا بيت له

ولا وطن ؟ أحقير أن تنام ملء عينيك ، وقد أطار الألم نوم الكثير ؟ وأن تملأ معدتك من الطعام الشهي ، والماء البارد ، و هناك من عكر عليه الطعام ، و نغص عليه الشراب بأمراض وأسقام ؟ أهين أن تمشي على قدميك ، وقد بترت أقدام ؟ وأن تعتمد على ساقيك ، وقد قطعت سوق ؟ تفكر في سمعك ، وقد عوفيت من الصمم ، وتأمل في نظرك ، وقد سلمت من العمى ، وانظر إلى جلدك ، وقد نجوت من البرص والجذام ، والمح عقلك وقد أنعم عليك بحضوره ، ولم تفجع بالجنون والذهول ، فكم من مريض على سريره منذ أعوام يتقلب ذات اليمين ، وذات الشمال يئن من الألم ، ويصيح من السقم ، كم من محبوس مر به سنوات ما رأى الشمس بعينه ، وما عرف غير زنزانته ، كم من رجل وامرأة فقدا فلذات أكبادهما في ميعة الشباب ، وريعان العمر ، كم من مكروب ، ومدين ، ومصاب ، ومنكوب ، إنك في نعم لا يحصى عددها ، ولكنك لا تدري ، انظر حولك ؛ فهل ترى إلا مبتلىً ، وهل تشاهد إلا منكوباً ، آن لك أن تتعز بهؤلآء و توازن مصابك بهم ليظهر لك أنك معافى بالنسبة لهم وأنه لم يأتك إلا وخزات سهلة ... (٣٣) .

لو علم أن الدنيا دار ابتلاء وامتحان ... (٣٤) فقد خلق الله تعالى الموت والحياة ، والسماوات والأرض ، وزين الأرض بما عليها ، لابتلاء واختبار خلقه ، قال تعالى : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلُوكم أيُّكم أحسنُ عملاً ﴾ [الملك/٢] ، وقال : ﴿ وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام * وكان عرشه على الماء ليبلُوكم أيُّكم أحسن عملاً ﴾ [الهود/٧]، ويبتلي الله سبحانه وتعالى العباد بالنعم كما يبتليهم بالمصائب ، قال ابن عباس : بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام ، وكلها بلاء ، قال تعالى في سورة الأنبياء الآية/٣٥ : ﴿ ونبلُوكم بالشرّ * والخير فتنةً ﴾ ، وقال في سورة الفجر/١٥-١٦ : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه * فأكرمه و نعّمه * فيقول : ربّي أكرمن * و أما إذا ما ابتلاه * فقدر عليه

رزقه * فيقول : ربي أهانن ﴾ .... (٣٥) والكل مبتلى قال تعالى في سورة العنكبوت/١-٣ : ﴿ الم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا : آمنا * و هم لا يفتنون * و لقد فتنّا الذين من قبلهم * فليعلمنّ الله الذين صدقوا * و ليعلمنّ الكاذبين ﴾ ... (٣٦)، وقال في سورة آل عمران/١٤٠ : ﴿ إن يمسسكم قرح * فقد مسّ القوم قرح مثله ﴾ تشير الآية الكريمة إلى إننا لسنا أول العباد ، و لا أخرهم نصاب بالضراء ، فكثير من قبلنا أصابهم البلاء ... (٣٧) ، و : "أشد الناس بلاء الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ابتلي على قد دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ، وما عليه خطيئة" ... (٣٨) ، ومن هذا الحديث الشريف نفهم أن أصحاب البلاء هم أهل الإيمان وكلما زاد الإيمان زاد البلاء .... (٣٩) ، و "إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم ، فمن رضي ؛ فله الرضا ، ومن سخط ؛ فله السخط" ... (٤٠) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "مَن يرد الله به خيراً يصب منه" [رواه البخاري] ... (٤١) ولله في ابتلاء عباده حكم منها ليعلم الله المجاهدين والصابرين ، قال تعالى : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة * ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم * ويعلم الصابرين ﴾ [آل عمران/١٤٢] ، و قد يكون هذا البلاء تكفيراً لذنوب وخطايا أقترفها الإنسان ، يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : "ما يصيب المسلم من نصب ، و لا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ؛ حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" [رواه البخاري] ... (٤٢) ، ومن مراسيل يحيى بن كثير ، قال : فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان ، فسأل عنه ، فأخبر أنه عليل ، فأتاه يعوده ، فقال : "شفى الله سقمك ، وعظم أجرك ، و غفر ذنبك ، و رزقك العافية في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك ، إن لك من وجعك خلالاً ثلاثاً، أما الأولى فتذكرة من ربك يذكرك

بها ، وأما الثانية فتمحيص لما سلف من ذنوبك ، و أما الثالثة فادع بما شئت فإن المبتلى مجاب الدعوة" ، وفي صحيح مسلم عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "ما من مسلم تصيبه مصيبة ، فيقول ما أمره الله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم آجرني في مصيبتي ، واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها" فلا يسلبك الله شيئاً إلا عوضك خيراً منه إذا صبرت واحتسبت : "من أخذت حبيبتيه "عينيه" فصبر عوضته منهما الجنة" ... (٤٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا مات ولد العبد ، قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : ماذا قال عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة ، و سموه بيت الحمد" [رواه الترمذي] ، وروى الحاكم والبيهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "قال الله تعالى : إذا ابتليت عبدي المؤمن ، فلم يشكني إلى عُواده أطلقته من إساري ، ثم أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، ثم يستأنف العمل" ، وقال صلى الله عليه وسلم : "ما من مسلم يصاب في جسده إلا أمر الله الحفظة : اكتبوا لعبدي في كل يوم وليلة من الخير ما كان يعمل ما دام محبوساً في وثاقي" [رواه الحاكم] ، وإذا ابتلي الله عبده بحمّى ؛ فصبر ، فهي حظه من النار جزاءً وفاقاً ، قال صلى الله عليه وسلم : "يقول الله تعالى : هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن في الدنيا لتكون حظه من النار يوم القيامة" [رواه أحمد والحاكم] ... (٤٤) فإنك إذا جعت في هذه الدار الدنيا أو افتقرت أو حزنت أو مرضت أو بخست حقاً ، أو ذقت ظلماً ، فذكر نفسك بالنعيم الذي ينتظرك في الدار الآخرة ، فمن أصيب في الدنيا كوفئ في الآخرة ، ومن تعب هنا ارتاح هناك ، وأعقل الناس هم الذين يعملون للآخرة لأنها خير وأبقى ، و إن أحمق وأبله هذه الخليقة هم الذين يرون أن هذه الدنيا هي قرارهم ودارهم ، ومنتهى أمانيهم ، هؤلآء المتعلقون بالدنيا العاشقون لها

الراكنون إليها ، أشد ما على قلوبهم فوت حظوظهم منها ، وتنغيص راحتهم فيها ، فلذلك تعظم عليهم المصائب ، وتكبر عندهم النكبات ، فتجدهم أجزع الناس عند المصائب ، وأندمهم عند الحوادث ، ولو أنهم خلعوا حجاب الران عن قلوبهم ، وغطاء الجهل عن عيونهم لحدثوا أنفسهم بدار الخلد ، و نعيمها ودورها وقصورها ، ولسمعوا وأنصتوا لخطاب الوحي في وصفها ، إنها والله الدار التي تستحق الاهتمام والكد و الجهد ، هل تأملنا طويلاً وصف أهل الجنة بأنهم لا يمرضون ، ولا يحزنون ، ولا يموتون ، ولا يفنى شبابهم ولا تبلى ثيابهم ، في غرف يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، يسير الراكب في شجرة من أشجارها مائة عام لا يقطعها ، طول الخيمة فيها ستون ميلاً ، أنهارها مطردة ، قصورها منيفة ، قطوفها دانية ، عيونها جارية ، سررها مرفوعة ، أكوابها موضوعة ، نمارقها مصفوفة ، زرابيها مبثوثة ، تم سرورها ، عظم حبورها ، فاح عرفها ، عظم وصفها ، منتهى الأماني فيها ، فأين عقولنا لا تفكر؟ وما لنا لا نتدبر؟

[للحديث بقية]

---

(١٦) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٩٧-١٠٣، و ص/٣٧.

(١٧) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٣٧-٣٨ .

(١٨) أدب الدنيا والدين : أبو الحسن الماوردي : ص/٢٩٤-٢٩٥ .

(١٩) الإيمان والحياة : يوسف القرضاوي : ص/١٦٥-١٦٦ .

(٢٠) في الطريق إلى الله ، التوكل : يوسف القرضاوي : ص/١٠٥-١٠٦ .

(٢١) المبشرات بانتصار الإسلام : يوسف القرضاوي : ص/٥٠-٥٢، وص/٦١ و/٦٤.

(٢٢) الإنسان والقانون الأعلى : عبد الوهاب البساطي : ص/٨٨-٩٠ .

(٢٣) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/١٧ .

(٢٤) من وصايا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : طه عبد الله العفيفي : ج/١ ، ص/١٧٣-١٧٤ .

(٢٥) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٨٠-٨١ .

(٢٦) الإنسان والقانون الأعلى : عبد الوهاب البساطي : ص/٨٨-٩٠ .

(٢٧) في الطريق إلى الله ، التوكل : يوسف القرضاوي : ص/١٠٦ .

(٢٨) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة : محمد عبد الستار اليمني : ص/٦٦ .

(٢٩) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٨٧ .

(٣٠) الإيمان والحياة : يوسف القرضاوي : ص/١٣١ .

(٣١) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/٣٥٦ .

(٣٢) كيف تنال السعادة الحقيقية : سعيد عبد العظيم : ص/٤٨، و ص/١٠٧ .

(٣٣) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/١٢ ، و/٣٨-٣٩ .

(٣٤) كيف تنال السعادة الحقيقية : سعيد عبد العظيم : ص/٤١ .

(٣٥) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : ابن قيم الجوزية : ص/١٥٢-١٥٣ ، و ص/١٦١-١٦٢ .

(٣٦) كيف تنال السعادة الحقيقية : سعيد عبد العظيم : ص/٤١ .

(٣٧) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة : محمد عبد الستار اليمني : ص/٧٠ .

(٣٨) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/١٦٧-١٦٨ .

(٣٩) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة : محمد عبد الستار اليمني : ص/٦٨ .

(٤٠) لا تحزن : عائض بن عبد الله القرني : ص/١٦٧ .

(٤١) خزائن الرزاق في جلب الأرزاق : ياسر جعفر شلبي : ص/١١٤ .

(٤٢) مواجهة الفقر في الكتاب والسنة : محمد عبد الستار اليمني : ص/٦٩-٧٠ .

(٤٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : ابن قيم الجوزية : ص/٨١-٨٢، و/٩٤ .

(٤٤) روضة الناظر و نزهة الخاطر في الجزاء من جنس العمل : سيد حسين العفاني : ج/٢ ، ص/٤٢٠-٤٢٢ .

العلمانيّة
وخطرها على الأمة الإسلامية

بقلم : الدكتور محمد السيد علي بلاسي
(عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر ، وعضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وعضو اتحاد كتاب مصر ، والخبير الدولي لمنظمة الأيسيسكو)

منذ أن نشأت العلمانية ، وهي تحاول أن تضرب بجذورها في التربة العربية و الإسلامية مستخدمة في ذلك كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ..

وقصة العلمانية في بلادنا هي في الحقيقة صراع بين بلادنا المسلمة والاستعمار كآخر حلقة من حلقات التحدي الوثني الأوربي المتسربل بقشرة مسيحية مزورة ! (١) .

فما هي العلمانية ؟

يقرر المرحوم الدكتور محمد البهي : أن العلمانية منسوبة - على غير قياس - إلى العالم أو العالمية .

ويراد بالعلمانية فكرة إيثار (الفهم المادي) للعالم ، وسلوك (الاتجاه الدنيوي) في تصريف شئون البشر ، وسن القوانين لتنظيم حياة الإنسان على هذه الأرض (٢) .

(١) العلمانية .. النشأة الخبيثة : محمد السيد عامر : ص/٦٤ (مقال منشور بمجلة الوعي الإسلامي : العدد/٣٦٣ ، ذو القعدة ١٤١٦هـ) .

(٢) العلمانية .. مفهومها ، و منشؤها ، ونقدها ، وبيان الإسلام منها : للدكتور محمد عبد المنعم العربي : ص/٢ وهامشها (بحث منشور بمجلة كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر : العدد الخامس عشر ، سنة ١٤١٥هـ) .

والعلمانية بالإنجليزية (Secularism) (١) .

أفكار العلمانيين وأهدافهم (٢) :

١- العداء المطلق للكنيسة أولاً ، وللدين ثانياً أيا كان ، سواء وقف إلى جانب العلم أم عاداه .

٢- إقامة حاجز سميك بين عالمي الروح والمادة ، والقيم الروحية لديهم قيم سلبية .

٣- فصل الدين عن السياسة وإقامة الحياة على أساس مادي .

٤- الحياة تقوم على أساس العلم المطلق وتحت سلطان العقل والتجريب .

٥- تطبيق مبدأ النفعية (البراكماتيزم) على كل شئ في الحياة .

٦- اعتماد مبدأ (الميكيافيلية) في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق.

٧- نشر الإباحية والفوضى الأخلاقية ، وتهديم كيان الأسرة باعتبارها النواة الأولى في البنية الاجتماعية .

عقيدة العلمانيين (٣) :

١- بعض العلمانيين ينكرون وجود الله أصلاً !

٢- وبعضهم يؤمنون بوجود الله لكنهم يعتقدون بعدم وجود أية علاقة بين الله ، وبين حياة الإنسان .

٣- إنكار الآخرة وعدم العمل لها واليقين بأن الحياة الدنيا هي المجال الوحيد للمتع والملذات .

أهداف العلمانيين نحو العالم الإسلامي (٤) :

أما معتقدات العلمانية في العالم الإسلامي والعربي التي انتشرت

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض : ص/٣٦٧ ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٩هـ .

(٢-٣-٤) المرجع السابق : ص/٣٧٠-٣٧١ .

بفضل الاستعمار والتبشير ، فهي :

١- الطعن في حقيقة الإسلام والقرآن الكريم والنبوة المطهرة .

٢- الزعم بأن الإسلام استنفد أغراضه ، وهي عبارة عن طقوس وشعائر روحية .

٣- الزعم بأن الفقه الإسلامي مأخوذ عن القانون الروماني .

٤- الزعم بأن الإسلام لا يتلاءم مع الحضارة ويدعو إلى التخلف .

٥- الدعوة إلى تحرير المرأة وفق الأسلوب الغربي .

٦- تشويه الحضارة الإسلامية وتضخيم حجم الحركات الهدامة في التاريخ الإسلامي ، والزعم بأنها حركات إصلاح .

٧- إحياء الحضارات القديمة .

٨- اقتباس الأنظمة والمناهج اللادينية عن الغرب ومحاكاته فيها .

٩- تربية الأجيال تربية لا دينية .

نشأة العلمانية :

من المشهور أن العلمانية بدأت في أوربا وصار لها وجود سياسي مع ميلاد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وقد عمت أوربا في القرن التاسع عشر ، وانتقلت لتشمل معظم دول العالم في السياسة ، والحكم في القرن العشرين بتأثير الاستعمار والتبشير (١) .

ويرجع المؤرخون السبب الحقيقي من وراء نشأة هذه الدعوة الخبيثة إلى أنه كان رد فعل لتحكم الكنيسة المسيحية في أوربا في شئون الناس طوال القرون الوسطى ، وانحرافها عن النهج القويم ، وممارساتها الظالمة للرعية ، و وقوفها في وجه البحث العلمي وتطوره وتكريسها يقيم المجتمع إلى طبقات ثلاث ، هي :

---

(١) المرجع السابق : ص/٣٧١ .

أ- طبقة الإكليروس : وهم كهنة الكنيسة والقساوسة والرهبان ، وعلى رأسهم (البابا) الذي كان بمثابة ملك ملوك أوربا ، ولهذه الطبقة قداسة مستمدة من قداسة الكنيسة ، ولا يجوز معارضة قراراتها مهما كانت مجحفة .

ب- طبقة النبلاء أو الأشراف : وهم أصحاب الإقطاعيات الكبيرة ، وعلى رأسهم الملك أو الأمير الحاكم ، ولها من الرعية الطاعة العمياء ما دامت متمتعة برضا الكنيسة ، ولهذا الرضا ثمنه المقرر من تبادل التأييد ، واقتسام المغانم على حساب الشعب الخاضع .

ج- طبقة العامة : والذين هم غالبية الشعب من زرّاع وصنّاع ، وصغار تجّار ، وعليها كل الواجبات من قيام بالأعمال المختلفة ، ودفع للضرائب الباهظة وخدمة للسادة ، ولا حقوق لها تذكر في واقع الأمر (١) .

ونجح الاتجاه العلماني في بسط سيطرته على الدولة في أوربا ، وبخاصة الدولة الفرنسية ؛ حيث كان من نتيجة الصراع بين الكنيسة من وبين الحركة الجديدة من جهة - ولادة الحكومة الفرنسية سنة ١٧٨٩م ، وهي أول حكومة لا دينية تحكم باسم الشعب .

وهناك من يرى أن الماسون استغلوا أخطاء الكنيسة ، والحكومة الفرنسية ، وركبوا موجة الثورة لتحقيق ما يمكن تحقيقه من أهدافهم (٢) .

كما نجح الاتجاه العلماني في إبعاد الكنيسة الممثلة للدين المسيحي عن شئون السياسة والحكم ، وحصر نشاطها في داخل الكنائس ، وفي دويلة رمزية بلا شعب و لا أرض هي دولة (الفاتيكان) على جزء صغير من مدينة "روما" بإيطاليا ، من باب إرضاء الخاطر ، وتذكاراً لماضٍ عتيد بَادَ

(١) انظر : العلمانية : للدكتور محمد عبد المنعم العربي : ص/٤-٥ .

(٢) راجع : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص/٣٦٨ .

واندثر (١) .

وعلى الصعيد الإسلامي :

استطاع الاستعمار أن يطبق العلمانية ويفرضها فرضاً على معظم بلاد العالم الإسلامي بوسائل ضغط عديدة ، وبواسطة أنظمة وحكومات تابعة له ، خاضعة لتوجيهاته ، فطبقها تطبيقاً كاملاً في (تركيا) المسملة مستغلاً ظروف هزيمتها في الحرب العالمية الأولى بعد أن كانت مقراً للخلافة الإسلامية .

وطبقها تطبيقاً شبه كامل في أغلب البلاد الإسلامية الأخرى التي ابتليت به ، و كما رحل الاستعمار عنها عسكرياً ، بقيت هذه الأنظمة ذات الصبغة العلمانية "الكاملة أو الغالبة" بقيت محتفظة بهذه الصبغة دون تغيير أو تبديل ، بل كرستها ودافعت عنها ، واعتبرت من يخرج عليها خارجاً على الدولة مناهضاً لها (٢) .

الرحلة التاريخية للعلمانية (٣) :

وأرى أن قصة العلمانية هي قصة الصراع بين الحضارة الوثنية الأوربية أو آخر فصول هذا الصراع مع الحضارة الإسلامية ، وهذا الصراع ممتد في التاريخ والجغرافيا ،وشهد الكثير من المراحل ، وأخذ الكثير من الملامح حسب الزمان والمكان .

وهذا الصراع بدأ مبكراً جداً في حياة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذي أدرك بفراسته ونبوته أن هذا الصراع سيشكل المساحة الاكبر في تاريخ الإسلام ، و وضع له الأسس الصحيحة ، وهي أن الهجوم خير وسائل

(١) انظر : العلمانية : للدكتور محمد عبد المنعم العربي : ص/٥ .

(٢) المرجع السابق : ص/٦ .

(٣) العلمانية .. النشأة الخبيثة : ص/٦٤-٦٥ .

الدفاع ؛ وهكذا خاض المسلمون في حياة الرسول الكريم صلّى الله عليه وسلّم الكثير من المعارك ضد الدولة البيزنطية وحلفائها ، على اعتبار أن هذه الدولة تمثل في ذلك الوقت المواقع المتقدمة للحضارة الأوربية الإغريقية و الرومانية ، واستمر الصراع بعد الرسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم ، والتاريخ يحدثنا عن نتائج تلك الصراعات والتي تمثلت في الفتوحات الإسلامية ، تلك التي عمت العالم ..

ولكن عند ما أحست أوربا بالخطر الشديد ؛ قررت تغيير التكتيك من الصدام العسكري مع المسلمين إلى الاختراق الثقافي والسياسي ، ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر والذي وصل إلى قلب أوربا عن طريق الأندلس إلى جنوب فرنسا و سويسرا ، وعن طريق العثمانيين إلى كل أوربا الشرقية ، ومن خلال جزر البحر المتوسط كان من الممكن أن يعرف الأوربيون حقيقة الإسلام فيدخلون فيه ، وقد حدث هذا بالفعل في أكثر من مكان أوربي ، مثل : ألبانيا ، والبوسنة والهرسك ، وكوسوفو وغيرها ؛ وكان لابد لأوربا من جهاز للدعاية لحماية رعاياهم من الأثر الإسلامي ؛ ونشأ من هنا الاستشراق الذي كان في البدء محاولة لمعرفة الإسلام بهدف تشويه صورته في عيون الأوربيين ، و مع حالة النوم والاسترخاء التي عاشها العالم الإسلامي طمعت أوربا في ذلك الوقت فيما هو أكثر من ذلك بعد أخذها بأسباب العلم والقوة ؛ فتحول جانب من الاستشراق إلى تجسس أوربي مباشر وغير مباشر على الدول الإسلامية ؛ لمعرفة نقاط الضعف والتجهيز لحملة صليبية جديدة تحت اسم الاستعمار ، وكذلك نشأ التبشير، ومن الاستعمار والتبشير والاستشراق بدأت الحملة الصليبية الجديدة التي انتهت بسقوط الخلافة العثمانية و وقوع معظم بلاد العالم الإسلامي في قبضة الاحتلال الأوربي ، وحدث تطور جديد في الاستشراق فكان لابد أن يمنع أي محاولة للنهضة في العالم الإسلامي و أي محاولة للمقاومة ، وذلك بطمس معالم

القوة في الثقافة الإسلامية ، وإحداث ما سمي بـ (التفريغ الثقافي) ، وهذا التفريغ الثقافي يقوم على تشكيل مدرسة ثقافية محلية تتلمذ على يد مستشرقين ، وتردد نفس رؤيتهم للإسلام ، واللغة العربية والآداب الإسلامية وغيرها ؛ وهكذا وجدنا أنفسنا أمام تيارين أسوأ من بعضهما :

التيار الأول : هو هؤلآء الذين ينظرون إلى الثقافة الإسلامية والآداب واللغة ، وبل والدين بمنظور المستشرقين ، وفضلاً عما في هذا الأمر من تآمر واضح ، فإنه أيضاً أمر غريب ووعجيب ؛ لأنه من البدهي أنه مهما كان المستشرق قد وصل في تعلم اللغة العربية أو الآداب ، فإنه سيظل مجرد تلميذ في هذا الإطار ، ولا يمكن أن يتحول إلى أستاذ أو صاحب مدرسة لأنه نشأ وتعلم و اكتسب ثقافته في أرضية ثقافية أخرى ، وبدهي أن أحداً لن يفهم لغة أو ثقافة ما إلا إذا كان ابناً لهذه اللغة ولهذه الثقافة .

أما التيار الثاني : وهوالذي التقطته أوربا وعلمته بحيث أصبح غربي التفكير والسلوك ، وحصل على العلوم ، وخاصة الاجتماعي منها من منظور أوربي ، فهذا سيأتي إلينا للتبشير بالقيم الأوربية مباشرة ، أي أننا أمام تيار كامل تقريباً أو تيار يفهم اللغة والآداب ، بل والدين من منظور المستشرقين ، وهو منظور سطحي في أحسن الفروض أو مشبوه في أسوئها .

من هؤلآء وأولئك نشأت العلمانية ، وهي محاولة للتفريغ الثقافي الذي يخدم مخططات الغرب أو محاولة لزرع القيم والثقافة الأوربية فينا ، وكل هذا جزء من مخطط واضح المعالم معروف الأهداف .

وقد فضح نابليون نفسه هذا الأمر في رسالته إلى كليبر الذي يقول فيها : "اجتهد في جمع ٥٠٠ أو ٦٠٠/شخص من المماليك أو من العرب ، ومشايخ البلدان لتأخذهم إلى فرنسا ، فنحتجزهم فيها مدة سنة أو سنتين يشاهدون فيها عظمة الأمة الفرنسية ، ويعتادون على تقاليدنا ولغتنا وعند ما يعودون إلى مصر يكون لنا منهم حزب ينضم إليه غيرهم !" .

وهكذا وجدنا كل الدعوات العلمانية : من دعوة إلى القومية العربية لضرب الوحدة الإسلامية وتقطيع أواصر المسلمين ، أو دعوة إلى الفرعونية وغيرها من الدعوات المقيتة التي تستهدف استبعاد الإسلام ، أو هؤلآء الداعين إلى الكتابة باللغة العامية نكاية في اللغة العربية وعزلاً لها ، وبالتالي عزل القرآن الكريم عن الواقع حتى يضحى كل تراثنا طلاسم عن أبنائنا ، يحتاج لمن يترجمه لهم أو هؤلآء الذين يدرسون في الإسلام ما ليس فيه أو يهيلون التراب على قيمه الثابتة .

كلمة أخيرة :

يجب أن نتيقن : أن العلمانية بكل مدارسها وتياراتها ورموزها مشبوهة الارتباطات ، مشبوهة الأهداف (١) ، وكلها تصب في النَيل من الإسلام وإبعاد المسلمين عن دينهم ، وتحقيق أطماع الأوربيين وضمان استقاء نفوذهم في ديار المسلمين ، ونهب ثرواتهم ، والحيلولة بينهم وبين تحقيق الرقي والرضاء والحياة الآمنة الكريمة (٢) .

ومن الواجب علينا أن نعلم : أن لليهود دوراً بارزاً في ترسيخ العلمانية ؛ من أجل السيطرة ؛ وذلك من أجل إزالة الحاجز الديني الذي يقف أمام اليهود حائلاً بينهم وبين أمم الأرض .. (٣) .

حفظ الله أمتنا الإسلامية من شرور العلمانيين وأذنابهم ، وأمن مقدساتنا من بغيهم ، وجعل كيدهم في نحرهم ، إنه سبحانه على ما يشاء قدير ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

* * *

(١) المرجع السابق : ص/٦٥ .

(٢) العلمانية : للدكتور محمد عبد المنعم العربي : ص/١١ .

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة : ص/٣٧١ .

المذهب الحنفي والتحديات المعاصرة

[٢]

بقلم : الأستاذ محمد فهيم أختر الندوي
(مدير الشئون العلمية بمجمع الفقه الإسلامي - الهند)

الباب الثاني : التحديات المعاصرة – بحثاً وتطلعاً :

١٩– عصر الصحوة الإسلامية التي يرتج صداها في أرجاء العالم

الإسلامي شرقاً وغرباً ، شمالاً وجنوباً ، يختلف عن العصور السالفة بميزات خاصة له ، كأنه تغير كلياً وانقلب تماماً ، فيه تناقضات وتضادات ، تطورات على أرفع قمتها ، وانهيارات في أسفل منتهاها ، اشتباكات العلائق بتعقد أشكالها ، وأنواع المستجدات بمختلف أبعادها ، اقتضاءات متجددة ، قيم متغيرة ، أعراف متبدلة ومتقاربة ، تصارع في الأفكار والاتجاهات ، تنوع في المشكلات ، والتعدد في التطلعات ، هذه بعض ميزات هذا العصر ، عصر التحديات الحديثة ، وهي تبلورت في قضايا ، حاولت تناولها بشئ من البحث في الصفحات الآتية :

الفصل الأول – اتجاهات :

٢٠– بحق سمى هذا العصر : "عصر الانفجار العلمي" ، فقد تقدمت

المعرفة وتشعبت ، وانهالت المصنفات في كل قسم من أقسام المعرفة : دراسةً وبحثاً ، وتحليلاً ومقارنةً ، ونقداً وتطويراً ، وتجديداً وتحديثاً ، وتقنيناً وتدويناً، وتأصيلاً وتفريعاً ، واستعراضاً وحلاً .

وفي خضم هذه التقدمات والتطورات الهائلة تقاربت العلوم ، و تفاعلت أيضاً ، فأحدث ذلك اتجاهات متعددة ، و مجهودات متنوعة في شتى شعب المعرفة بما فيها الفقه الإسلامي بشمولية الفقه الحنفي أيضاً .

وهذه العجالة لا تحيط بجميع الاتجاهات وملابساتها ، والأطروحات المقدمة بشأنها ، إلا النزر البارز منها ، ويمكن تصنيف هذه الاتجاهات على العناوين التالية :

٢١- اتجاه الاستفادة من جميع المذاهب الفقهية :

تبدو اليوم في عديد من البلدان العربية والإسلامية ، وفي أقطار المسلمين ، التفاتة نحو الفقه الإسلامي بأجمعه للاستفادة من مذاهبه ، ويرى هذا الاتجاه أن مجموعة المذاهب الاجتهادية يجب أن تعتبر كمذهب واحد كبير في الشريعة ، وكل مذهب فردي منها كالمذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي يعتبر في هذا المذهب العام كالآراء ، والأقوال المختلفة في المذهب الفردي الواحد ، وذلك لأن الضيق عن الحاجات التشريعية العصرية ليس هو في الفقه الإسلامي عامة ، وإنما هو في كل مذهب فردي على حدة ، وما يضيق عنه المذهب الواحد ونظرياته ، ففي مذهب آخر سعة منه وعلاج (١) ، ويشيد الأستاذ وهبة الزحيلي هذا الاتجاه بقوله : وقد لقي هذا النوع من الدراسة والبيان ، لفقه المذاهب الأربعة إقبالاً شديداً وحرصاً تاماً على المطالعة والاستفادة ، وهو متفق مع الاتجاه العالمي للدراسة المقارنة ، ويضعف العصبية المذهبية أو يزيلها من النفس (٢) .

وقد ساد هذا الاتجاه في المصنفات المعاصرة عامة ، وتبناه العلماء في اجتهادهم الجماعي في المجاميع الفقهية المعاصرة ، كما تم التقنين في عديد من البلدان العربية وفق هذا الاتجاه لحل بعض المشاكل التي كانت تواجه أهلها ، مثل تقنين الحكومة المصرية في بعض قضايا التفريق ، و زوجة المفقود والطلاق ، وتقنين الحكومة السورية في بعض قضايا الأحوال الشخصية (٣)،

(١) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٠٦-٢١٠ ، المصدر السابق .

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته : ج/١ ، ص/٩ ، المصدر السابق .

(٣) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٠٨-٢١٠ .

بل يرى الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء أن الحاجة إلى فقه المذاهب الأخرى كانت ظهرت لجمعية المجلة نفسها ، كما يظهر مما جاء في تقرير لائحة الأسباب الموجبة من الإشارة إلى المناقشات التي جرت في الجمعية حول الأخذ بمذهب ابن شبرمة في اعتبار الشروط مطلقاً في العقود (١) ، وهناك بعض الآراء تعارض هذا الاتجاه وتراه غير مناسب لهذه الآونة (٢) .

٢٢- اتجاه التأليف الموسوعي :

عن هذا الاتجاه يرى صاحب مقدمة الموسوعة الفقهية لدولة الكويت أن إصدار الموسوعة الفقهية كان أملاً إسلامياً قديماً ومتجدداً ، فقد تطلع إلى ذلك كثير من المهتمين بنهضة الأمة الإسلامية على تفاوت في وضوح الفكرة و الطريقة المقترحة (٣) ، غير أن أهم النداءات التي ترددت لإنجاز هذا المشروع تمثل في النداء الصادر عن مؤتمر "أسبوع الفقه الإسلامي" الذي عقدته شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة في كلية الحقوق من جامعة باريس في الثاني من تموز ١٩٥١م ، وكان بين توصياته الدعوة إلى تأليف موسوعة فقهية (٤) .

بدأت المحاولات في سورية ومصر ، ثم في الكويت على المستوى الحكومي ، وما زال نتاج مجهوداتها في تواصل مستمر .

على المستوى الفردي أيضاً جاءت بعض المجهودات الموسوعية الشاملة لجميع أبواب الفقه أو الخاصة ببعض الأبواب دون بعض .

(١) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٠٧ .

(٢) محمد تقي أميني ، فقه إسلامي كا تاريخي يس منظر : ص/٢٥-٢٦ ، طبعة لاهور باكستان سنة ١٩٨٦م .

(٣) الموسوعة الفقهية : ج/١ ، ص/٥٤ .

(٤) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٦ .

وكاتب مقدمة الموسوعة الفقهية للكويت يعرض ما لهذا الاتجاه من ميزة ، يقول : بإنجاز الموسوعة يتحقق للفقه الإسلامي مواكبة ما وصلت إليه العلوم والمعارف من تطوير في الشكل والأسلوب ؛ فيجمع إلى أصالة مضمونه ، و غزارة تراثه جمال الإخراج ، و سهولة الترتيب ، وذلك لتدارك الفجوة التي حدثت بالتطور السريع في عالم النشر ، وعرض المعلومات بطرق تجمع بين السهولة ، وتحقيق السرعة (١) .

٢٣- اتجاه التقنين :

اتجاه التقنين قد اتسع في هذا العصر ، وصدرت القوانين في شتى المواضيع و النواحي ، في كثير من البلاد الإسلامية ، وكان هذا الاتساع إلى درجة أنه قلما يوجد باب من أبواب الفقه لم يدخله التعديل أو النسخ القانوني في كثير أو قليل من أحكامه (٢) .

ونظراً إلى هذا الاتجاه بذلت مجهودات جبارة في مجال التدوين القانوني في عديد من البلدان ، مثل : تدوين قوانين الحدود في ليبيا ، و التدوين القانوني في السودان ، و ست مسودات قانونية مدونة من جانب جامعة الأزهر في مصر ، ومسودات المجلس النظري الإسلامي في باكستان ، ومجهودات معهد الدراسات الإسلامية باكستان (٣) ، ومسودة قانون الأحوال الشخصية لهيئة الأحوال الشخصية للمسلمين في الهند (٤) .

٢٤- في اتجاه التقنين المعاصر توجد ملاحظات عدة :

أ- ليس التقنين يشمل جميع أبواب الفقه الإسلامي ، ونواحي الحياة

(١) الموسوعة الفقهية : ج/١ ، ص/٥٤ .

(٢) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٠٠ .

(٣) مسودة قانون القصاص و الدية : ص/٢-٣ ، طبعة باكستان سنة ١٩٨٦م .

(٤) هذه المسودة قد صدرت من جانب الهيئة المذكورة في الهند .

الإنسانية ، كما ليس نطاقه لجميع الدول الإسلامية سواء ، فكل دولة تتجه في التقنين إلى بعض أبواب الفقه دون بعضها ، ومعظم التقنين المعاصر كان في باب الأحوال الشخصية ، وبعضه كان متسعاً إلى المعاملات التجارية والحدود وغير ذلك أيضاً .

ب- ليست الآراء تتفق على تقنين جميع أبواب الفقه ، فهناك بعض الآراء تذهب إلى اتجاه عدم التقنين في قانون الأحكام مثلما يوجد في المملكة العربية السعودية (١) وإلى هذا الرأي يذهب الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء ، فيرى ضرورة التقنين في قانون المراسم وعدمه في قانون الأحكام (٢) .

ج- تختلف الآراء كذلك في تقنين واحد لجميع الدول الإسلامية أو التقنين لكل دولة إسلامية على حدة ، لأن لكل دولة ظروفها الخاصة ، وأعراف وحاجات أهلها المختلفة عن أهالي البلدان الأخرى (٣) .

٢٥- اتجاه التنظير :

هذا الاتجاه يقلب صياغة الفقه الإسلامي المألوف ، فيبنى من قواعده ومبادئه نظريات عامة مستدلاً بأن مسائله الفرعية تتصل بأصول كلية ونظريات عامة أساسية ، وهي منثورة الأجزاء في غضون الأبواب الفقهية يذكرونها في كل باب ما يتعلق منه ، والآن حاجة شديدة إلى كتب توضع على طريقة البحث الموضوعي (٤) .

ويعرف الأستاذ الزرقاء هذه النظريات بقوله : نريد من النظريات الفقهية الأساسية تلك الدساتير ، والمفاهيم الكبرى التي يؤلف كل

(١) مسودة قانون القصاص و الدية : ص/٣ .

(٢) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٠٣ .

(٣) جمال الدين عطية : التنظير الفقهي : ص/٢٤٦ ، ترجمة أردية ، طبعة مجمع الفقه الإسلامي الهند ، سنة ١٩٩٣م (٤) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/١٢-١٥.

منها على حدة نظاما حقوقيا ، موضوعيا منبثا في الفقه الإسلامي كانبثاث أقسام الجملة العصبية في نواحي الجسم الإنساني ، وتحكم عناصر ذلك النظام في كل ما يتصل بموضوعه من شعب الأحكام ، و ذلك كفكرة الملكية وأسبابها ، وفكرة العقد وقواعده ، ونتائجه ، وفكرة الأهلية ، وأنواعها ، ومراحلها ، وعوارضها ، وفكرة النيابة وأقسامها ، وفكرة البطلان والفساد والتوقف ، وفكرة التعليق و التقيد ، والإضافة في التصرف القولي ، وفكرة الضمان وأسبابه وأنواعه ، وفكرة العرف وسلطانه على تحديد الالتزامات إلى غير ذلك من النظريات الكبرى التي يقوم على أساسها صرح الفقه بكامله ، و يصادف الإنسان إثر سلطانها في حلول جميع المسائل والحوادث الفقهية (١) .

٢٦- شهد هذا الاتجاه أيضاً كثيراً من التصنيفات المعاصرة ، وهي تختلف في أساليبها عن المصنفات القديمة المألوفة من ذكر الفروع والتركيز عليها، بل انتهجت إلى تحديد النظريات الكبرى المكنونة وراء تلك الفروع ، وإبرازها مع ذكر تعريف وخصائص وأركان وشروط وآثار لها ، تناولت بعض المصنفات ذكر النظريات المخصوصة لأبواب دون أبواب ، وبعضها الآخر اختار موضوع النظريات الفقهية العامة (٢) .

٢٧- اتجاه التطوير : هذا الاتجاه مع عدم اتساعه في العصر المعاصر يوجد بشكل مهم ومتطور ، ويتطلب وقوفاً عنده متأملاً جاداً .

ويتلخص هذا الاتجاه في مواصلة الحركة التطويرية لأصول الفقه وقواعده ، ومقاصد الشريعة ، والعلوم المتعلقة بالفقه ، وتسييرها على الطريق التي كانت سائرة عليها قبل توقف الاجتهاد ، وركود الإبداع

(١) المدخل الفقهي العام : ج/١ ، ص/٢٣٥ .

(٢) التنظير الفقهي : ص/٢٢٢ .

الفكري (١) ، ولم يوجد حتى الآن حسب رأى الأستاذ جمال الدين عطية إلا مثال واحد وفق هذا الاتجاه ، وهو كتاب مقاصد الشريعة للشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي يراه الدكتور طه جابر العلواني : "بانياً له على ما أسسه الشاطبي متجاوزاً أهم ما أخذ على الشاطبي من تطويل ، و خلط بين بعض المسائل ، ومسائل أخرى ، وإغفال أو تجاوز لبعض المقاصد الهامة ، فاقتفى آثاره ، لكنه لم يقلده ، وقد يكون من أهم ما امتاز به جهد ابن عاشور ، هو العمل على تقديم منهج للكشف عن المقاصد جعله يضيف مقصدين هامين جداً ، وهما مقصد "المساواة" ، ومقصد "الحرية" ، تلك خطوة اجتهادية لابد من متابعتها والبناء عليها" (٢) .

٢٨- أما الغاية وراء هذا الاتجاه ، فيقول عنها الدكتور العلواني : لكن بناء العقل المقاصدي الغائي التعليلي القادر على البحث عن ذلك ، وربطه بسنن الكون ، و قوانين الخلق ، و غايات الوجود ينبغي أن يكون هو الهدف الأخير لهذه الدراسات ، و ينبغي أن لا يغيب عن البال في أية مرحلة" (٣) .

٢٩- اتجاه فقه الأقليات :

تتردد الدعوة إلى تدوين "فقه الأقليات" في أوساط العالم الإسلامي ، و خاصة بالنسبة للدول التي يسكنها المسلمون في أقلية ، و لا يسعهم العمل بجميع الأحكام الفقهية فيها .

ولعل هذا الاتجاه لم ينل عناية لائقة لهذه الآونة مع أن النداءات له تتردد فينة وأخرى .

[للبحث صلة]

(١) التنظير الفقهي : ص/٢١٥ .

(٢) طه جابر علواني : تصدير على كتاب نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور لإسماعيل الحسني : ص/١٥-١٦ ، طبعة المعهد العالي للفكر الإسلامي ، أمريكا سنة ١٩٩٥م .

(٣) نفس المصدر : ص/٥ .

دور عمل أهل المدينة في الفقه المالكي

(١) بقلم : الدكتور أ.ق.م. عبد القادر
(الأستاذ المشارك في قسم العربية والدراسات الإسلامية ، جامعة سيتاغونغ - بنغلاديش)

احتلت المدينة المنورة مكانة مرموقة بين سائر الأمصار ، قد هاجر النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إليها ، ونزلت هناك معظم الأحكام ، وكانت مقر الخلفاء الراشدين ، وأكثر الصحابة ، فالخلفاء الراشدون قد بذلوا فيها قصاري جهودهم لتنفيذ التشريعات الإلهية ، ونشر السنن ، ففتاواهم وأقضيتهم مقدمة على فتاوى وأقضية غيرهم ، ثم وليها بعدهم أمراء أحدثوا أشياء كثيرة فعمل بها الناس ، واستمر العمل عليها ، فاختلطت السنة بغيرها ، فلأجل ذلك وجب الرجوع إلى السنة الصحيحة الثابتة عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المدينة وغيرها من أمصار المسلمين التي أقام بها الصحابة واستوطنوها ، فالمدينة المنورة قد لعبت دوراً هاماً في تشريع الأحكام في جميع مجالات الحياة ، قد دعا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم للمدينة وأهلها بالبركة ، حيث قال : اللهم بارك لهم في مكيالهم ، وبارك لهم في صاعهم ومدهم ، يعني أهل المدينة (١) ، وقال أيضا : اللهم بارك لنا في ثمرنا ، و بارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في صاعنا ، وبارك لنا في مدنا (٢) ، إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عد نفسه من المجتمع المدني ، حيث قال عند رجوعه من حنين : أولا ترضون أن يرجع الناس بالغنائم إلى بيوتهم ، وترجعون برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيوتكم ، لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم (٣)، في هذه

الروايات نحن نلاحظ أن المجتمع المدني قد امتاز عن أي مجتمع آخر ، وإن أهل المدينة قد شاهدوا التنزيل ، و سمعوا التأويل ، و كانوا أعرف الناس بأحوال الرسول من غيرهم ، فهم شاهدوا آخر العمل من النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، وعرفوا ما نسخ من الأحكام ، وما لم ينسخ ، فروايتهم مقدمة على روايات غيرهم .

إن الصحابة قضوا حياتهم على ضوء القرآن الكريم والسنة العزيزة المطهرة ، فإن لم يجدوا في بعض الأمور أي نص اجتهدوا واستنبطوا ، كما ينص عليه حديث معاذ حينما بعثه إلى اليمن قاضياً ، قال بم تقضي إذا لم تجد في كتاب الله ، وفي سنة رسوله أي نص ، فأجاب : اجتهد براي ولا آلو (٤)، إن أجلة الصحابة والتابعين كانوا يتشاورون بينهم عن الأمور الدينية والأحكام الشرعية إذا لم يجدوا نصاً في أمر ، فكان في المدينة أبو بكر [١٣هـ/٦٣٤م] ، وعمر [٢٣هـ/٦٤٤م] ، وعلي [٤٠هـ/٦٦١م] ، وعبد الله بن مسعود [٣٢هـ/٦٥٣م] ، وزيد بن ثابت [٤٥هـ/٦٦٥م] ، وأبي بن كعب [٢٢هـ/٦٤٣م] ، وأبو موسى الأشعري [٤٤هـ/٦٦٥م] وغيرهم من أصحاب الفتاوى من الصحابة .

ثم جاء بعدهم التابعون الذين كانت تدور عليهم الفتوى ، وعلى رأسهم سعيد بن المسيّب [٩٤هـ/٧١٣م]، وقبيصة بن ذؤيب [٨٧هـ/٧٠٦م]، وعروة بن الزبير [٩٣هـ/٧١٢م] ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [٩٤هـ/٧١٣م] ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف [٩٤هـ/٧١٣م]، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة [٩٨هـ/٧١٦م] ، وخارجة بن زيد [١٠٠هـ/٧١٨م] ، وسليمان بن يسار [١٠٤هـ/٧٢٢م] ، وقاسم بن محمد ابن أبي بكر [١٠٧هـ/٧٢٦م] ، وسالم بن عبد الله بن عمر .

وأما الطبقة الثانية منهم ؛ فقد تعلم على أيديهم الإمام مالك بن أنس [٩٣هـ/٧١٢م-١٧٩هـ/٧٩٥م] وتفقه ، منهم نافع مولى ابن عمر

[١١٧هـ/٧٣٥م] ، و محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري [١٢٤هـ/٧٤٢م] ، وبكير بن عبد الله بن الأشج [١٢٠هـ/٧٣٧م] ، وأبو الزناد عبد الله بن ذكوان [١٣٠هـ/٧٤٨م] ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن الرأي [١٣٦هـ/٧٥٣م] ، وزيد بن أسلم [١٣٦هـ/٧٥٣م]، ويحيى بن سعيد الأنصاري [١٤٣هـ/٧٦٠م]، فكانت لهؤلآء الشيوخ مكانة في الحديث والفقه والفتوى بصفة خاصة ، وكان لهم أثر كبير في بناء صرح الفقه المدني الذي امتاز من غيره .

يعد مذهب أهل المدينة أصح المذاهب ، إذ أنهم كانوا أعلم الناس بالسنة النبوية العزيزة ، فكانت بيئة المدينة منزهة عن البدع والخرافات ، ولكن إذا نظرنا إلى البلاد الأخرى ، نرى أنه قد خرج من البصرة القدر والاعتزال ، ومن الشام القدر ، ومن الكوفة التشيع والإرجاء ، فعلماء هذه البقاع احتاجوا إلى علم أهل الحجاز ، ورحلوا إليه في طلبه ، فكانت المدينة مرجعاً لهم في هذا الشأن ، ومن جانب آخر : إن علماء المدينة تفرقوا في البلاد المختلفة ، وقاموا بأمر القضاء والتعليم ، كهشام بن عروة ، ومحمد ابن إسحاق ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وحنظلة بن أبي سفيان ، وعبد العزيز بن الماجشون وغيرهم (٥) ، فأحياناً يستفتون عمن له حق الفتيا من أهل المدينة ، كما نرى أنه كتب عبد الله بن الزبير ، وعبد المالك بن مروان إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه في بعض القضايا ، و كتب معاوية بن أبي سفيان إلى زيد بن ثابت ، يسأله عن الجد ؛ فكتب زيد بن ثابت في جوابه (٦) ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر ابن عمرو بن حزم في جمع السنن المروجة بالمدينة (٧) ، فأبو جعفر المنصور، والمهدي ، والهارون من الخلفاء العباسيين كانوا يرون أن المدينة ، هي المرجع في السنن (٨) .

إن الإمام مالك قد اعتمد في أصول فقهه ، وقواعد مذهبه ، ومناهج اجتهاده واستدلاله على فقه الصحابة ، وفتاواهم ، وقضاياهم ،

كما أنه ابتنى على القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، والإجماع ، والقياس ، والذرائع ، والاستحسان ، والاستصلاح ، وعمل أهل المدينة ، فعمل أهل المدينة مصدر هام للفقه المالكي ، لعله قد أخذ مالك هذا المصدر من قول ربيعة الرأي : ألف عن ألف أحب إليَّ من واحد عن واحد (٩) ، فعمل أهل المدينة عنده أقوى ، وأثبت من الحديث (١٠) .

قد احتج الفقهاء المدنيون بعمل أهل المدينة قبل الإمام مالك ، قال سليمان بن يسار في كفارة اليمين : أدرك الناس ، وهم إذا أعطوا في كفارة اليمين أعطوا مداً من حنطة بالمد الأصغر ، ورأوا ذلك مجزياً عنهم (١١) ، وقال ابن وهب : أخبرني هشام بن سعد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، قال : عدة الأمة حيضتان – قال القاسم : مع أن هذا ليس في كتاب الله عزّوجل ، ولا نعلمه سنة عن رسول الله ، ولكن قد مضى أمر الناس على هذا (١٢) ، وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة في القضاء بالشاهد واليمين : حضرت أبا بكر وعمر وعثمان يقضون بهما (١٣) ، عن ابن شهاب ان عمر بن عبد العزيز ، سأله عن القسامة ، قال : فقلت له : كانت من أمر الجاهلية أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن من سنتنا ، وما بلغنا أن القتيل إذا تكلم برئ أهله ، وإن لم يتكلم حلف المدعى عليهم ، وذلك فعل عمر بن الخطاب ، والذي أدركنا عليه الناس (١٤) ، قال الزهري : أدركت علماءنا ، يقولون في المرأة تأتي المرأة بالرفعة وأشباهها يجلدان مائة الفاعلة والمفعول بها (١٥) ، و قال يحيى بن سعيد الأنصاري في التمليك : إن أمر الناس عندنا الذي لا نرى أحداً يختلف فيه على هذا (١٦)، فمن النصوص المذكورة يتضح لنا أن "عمل أهل المدينة" قد لعب دوراً في تشريع الأحكام منذ زمن قديم ، فمالك قد اتخذ عملهم وإجماعهم ، كمأخذ علاحدة في الاجتهاد والاستنباط ، فموطأه ومدونته قد حفظ لنا تلك الثروة للأجيال اللاحقة ، ولكنه قد انتقده الإمام الليث بن سعد ، ومحمد بن

الحسن الشيباني ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، وابن حزم الأندلسي وغيرهم من الفقهاء على اتخاذه عمل أهل المدينة كمأخذ مستقل في دراسته الفقهية .

اختلفت المالكية في اعتبار عمل أهل المدينة كإجماع الأمة ، يقول ابن حزم : قالت طائفة منهم : إنما إجماعهم إجماع وحجة فيما كان من جهة النقل فقط ، وقالت طائفة منهم : إجماعهم إجماع وحجة من جهة النقل كان أومن جهة الاجتهاد ، لأنهم أعلم بالنصوص التي منها يستنبط وعليها يقاس ، فإذا هم أعلم بذلك ، فاستنباطهم وقياسهم أصح من قياس غيرهم واستنباط غيرهم (١٧) إن مالكاً قد احتج بالإجماع وبعمل أهل المدينة ، كما نجد في موطاه ومدونته ، وفي رسالته إلى الليث ، فذكر في عدة مواضع من موطاه : "الأمر المجتمع عليه عندنا كذا" ، وذكر في رسالته إلى الليث : إنه بلغني ، أنك تفتى الناس بأشياء مخالفة لما عليه الناس عندنا ، و ببلدنا الذي نحن فيه ، وأنت في إمامتك وفضلك ومنزلتك بين أهل بلدك ، وحاجة من قبلك إليك ، واعتمادهم على ما جاءهم منك حقيق بأن تخاف على نفسك ، وتتبع ما ترجو النجاة باتباعه ، فالله تعالى يقول في كتابه : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهراً معمولاً به لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز لأحد انتحالها ولا إدعاءها (١٨) .

إن إجماع أهل المدينة على نوعين : الأول : أن يكون إجماعهم من طريق النقل والحكاية الذي تأثره الكافة عن الكافة ، وعملت به عملاً جلياً، ونقله الجمهور عن الجمهور من زمن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ، فهذا هو حجة يلزم المصير إليه ، ويترك ما خالفه من خبر واحد أو قياس ، فهذا النقل محقق معلوم موجب للعلم اليقيني ، الثاني : أن يكون إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال ؛ فأكثر العلماء يذهب إلى أنه ليس

بحجة – بل يرجح به على اجتهاد غيرهم – ويذهب بعض المالكية إلى أنه أيضاً حجة وحكوه عن مالك (١٩) قد رتب الإمام ابن تيمية عمل أهل المدينة إلى أربع مراتب ، الأولى : ما يجرى مجرى النقل عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فهذا هو حجة عند الأئمة ، الثانية : العمل القديم بالمدينة قبل شهادة عثمان رضي الله عنه ، فهذا حجة في مذهب مالك ، وهو المنصوص عن الشافعي ، الثالثة : إذا تعارض دليلان في مسألة كتعارض حديثين وقياسين ؛ فمهذب مالك والشافعي : إنه يرجح بعمل أهل المدينة ، الرابعة : العمل المتأخر بالمدينة ، وإن عده الناس حجة شرعية ، ولكنه ليس بحجة عند المحققين من أصحاب مالك (٢٠) ، يقول ابن القيم : أما العمل بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين والصحابة بالمدينة كان بحسب من فيها من المفتين والأمراء والمحتسبين على الأسواق ، ولم تكن الرعية تخالف هؤلآء ، فإذا أفتى المفتون نفذه الوالي ، وعمل به المحتسب ، وصار عملاً ؛ فهذا هو الذي لا يلتفت إليه في مخالفة السنن ، لا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه والصحابة ؛ فذاك هو سنة ، فلا يخلط أحدهما بالآخر ، فنحن لهذا العمل أشد تحكيماً ، وللعمل الآخر إذا خالف السنة أشد تركاً (٢١)، وقال أيضاً : إن عملهم الجاري مجرى النقل حجة ، فإذا أجمعوا عليه فهو مقدم على غيره من أخبار الآحاد ..... إنهم إذا أجمعوا على شئ نقلاً أو عملاً متصلاً ، فإن ذلك الأمر معلوم بالنقل المتواتر الذي يحصل العلم به ، و ينقطع العذر فيه ، ويجب ترك أخبار الآحاد له (٢٢) ، ثم قال : من المحال عادة أن يجمعوا على شئ نقلاً أو عملاً متصلاً من عندهم إلى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، وتكون السنةالصحيحة الثابتة قد خالفته هذا من أبين الباطل (٢٣) .

الآن نحن نورد الأمثال لإيضاح الأمر ، أما العمل النقلي ؛ فقد جاء في الحديث الصحيح عن معاذ رضي الله عنه : أنه كتب إلى النبي الكريم صلى الله

عليه وسلم ، يسأله عن الخضراوات ، وهي البقول ، فقال : ليس فيها شئ (٢٤) فمستدل المالكية فيها عمل أهل المدينة ، حيث قالوا : إن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لم يأخذ من خضر المدينة صدقة ، ولم يعرف ذلك من عمل الناس بها ، كأنهم خصصوا عموم الآثار بعمل أهل المدينة ، ولذا قال مالك : السنة التي لا اختلاف فيها عندنا ، والذي سمعت من أهل العلم ، أنه ليس في شئ من الفواكه كلها صدقة ، الرمان والفرسك والتين ، وما أشبه ذلك ، و ما لم يشبهه إذا كان من الفواكه ، قال : ولا في القضب ، ولا في البقول ، كلها صدقة ، و لا في أثمانها إذا بيعت صدقة ، حتى يحول على أثمانها الحول من يوم يبيعها ، و يقبض صاحبها ثمنها (٢٥) ، وأما العمل الاستدلالي ، فقد قضى مالك بمصطلح "الأمر عندنا" ، كما نجد في حكم عدة المرأة التي فقدت زوجها، مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : أيما امرأة فقدت زوجها ، فلم يدر ، أين هو ؟ فإنها تنتظر أربع سنين ، ثم تعتد أربعة أشهر وعشراً ، ثم تحل ، قال مالك : و إن تزوجت بعد انقضاء عدتها ؛ فدخل بها زوجها أو لم يدخل ، فلا سبيل لزوجها الأول إليها ، قال مالك : وذلك الأمر عندنا ، وإن أدرك زوجها قبل أن تزوج ، فهو أحق بها، قال مالك : وأدركت بعض الناس ينكرون الذي قال بعض الناس على عمر بن الخطاب ، إنه قال : يخير زوجها الأول إذا جاء في صداقها أو في امرأته (٢٦) .

إن مالكاً قد قضى بمصطلح "الأمر المجتمع عليه عندنا" في مواضع شتى ، مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : استسلف رسول الله بكراً ، فجائته إبل الصدقة ، قال أبو رافع : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقضى الرجل بكرة ، فقلت : لا أجد في الإبل إلا جملاً خياراً رباعياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطه إياه ، فإن خيار الناس أحسنهم قضاء (٢٧) . قال مالك :

الأمر المجتمع عليه عندنا أن من استسلف شيئا من الحيوان بصفة ، وبحلية معلومة ، فإنه لا بأس بذلك ، وعليه أن يرد مثله إلا ما كان من الولائد ، فإنه يخاف في ذلك الذريعة إلى إحلال ما لا يحل ولا يصلح (٢٨) .

قد خالف مالك بعض أقضية عمر بالحجة على أهل المدينة – مالك عن هشام بن عروة عن أبيه أن عمر بن الخطاب ؛ قرأ سجدة ، وهو على المنبر يوم الجمعة – فنزل فسجد وسجد الناس معه ، ثم قرأها يوم الجمعة الأخرى – فتهيأ الناس للسجود – فقال عمر : على رسلكم – إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء ، فلم يسجد ، ومنعهم أن يسجدوا – قال مالك : ليس العمل على أن ينزل الإمام إذا قرأ السجدة على المنبر فيسجد (٢٩) – أيضاً إنه خالف عمر في قضية دية الخطأ في القتل نصفها – مالك عن ابن شهاب عن عراك بن مالك ، و سليمان بن يسار : إن رجلاً من بني سعد بن ليث أجرى فرساً ، فوطئ على أصبع رجل من جهينة ، فنزى منها فمات – فقال عمر بن الخطاب للذي ادعى عليهم : أتحلفون بالله خمسين يميناً ما مات منها – فأبوا وتحرجوا – فقال للآخرين : أتحلفون أنتم : فأبوا – فقضى عمر شطر الدية على السعديين – قال مالك : ليس العمل على هذا – (٣٠).

إن الإمام مالكاً كان يستخدم مصطلحات مخصوصة للدلالة على عمل أهل المدينة ، وإن علماء أهل المدينة ما خالفوه في هذه المصطلحات ، وفيما نقله من قضايا العمل ، ولكنهم خالفوه في وجهات النظر ، والاستدلال في بعض القضايا – كاعتراض ابن أبي ذئب على مالك في خيار المجلس (٣١) ، فالإمام الليث بن سعد [١٧٥هـ/٧٩١م] هو أول من انتقده على قضايا العمل ، فهو قد اعترض عليه ، و على أهل المدينة ، والاحتجاج بعملهم في رسالته إلى مالك (٣٢) ، ثم انتقده بعده الإمام محمد بن الحسن الشيباني [١٨٩هـ/٨٠٥م] في "الحجة على أهل المدينة" مع أنه روى عنه المؤطا ، ثم الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم [١٨٢هـ/٧٩٨م] في

"كتاب الرد على مالك بن أنس" ، فالإمام الشافعي [٢٠٤هـ/٨١٩م] وضع منهجاً واضحاً لنقده بقواعد ثابتة ، فأبو محمد علي بن أحمد ابن حزم الأندلسي [٤٥٦هـ/١٠٦٤م] ، وشمس الدين محمد ابن قيم الجوزية [٧٥١هـ/١٣٥٠م] وغيرهما قد أخذوا جانباً من منهج الشافعي ، وتوسعوا في إيراد الأمثلة .

إن المالكية يدعون أن عمل أهل المدينة إجماع كله أو الأكثر منه ، وهم يثبتون السنن التي يعتمد عليها العمل إذا وجدوا الأئمة من أصحاب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم قائلين بما يوافقها ، فالإجماع عندهم ما حكم به أحد الأئمة – أبو بكر أو عمر أو عثمان – أو وجدوا الناس لم يختلفوا فيها، إذا تحقق هذان الشرطان يعملون بها ، فالإمام مالك ينفى العمل عن الخبر ، ويثبته لغيره بمعنى أنه يرد الخبر بالعمل ، و ينفى العمل عن الحديث ، و أيضاً نرى أنه يقدم العمل أحياناً على أخبار الآحاد في بعض قضايا العمل ، اختلفت المالكية في حجية عمل أهل المدينة ، إن مالكاً لم يصرح في ذلك بشئ ، و إن ذكر في مؤطاه "العمل ببلدنا كذا" أو "ليس عليه العمل ببلدنا" فالإمام الليث كتب في رسالته إلى مالك ، وانبهه بأن إلزام العمل بما عليه أهل المدينة ، سيؤدي إلى إبطال كثير من السنن ، والأقضية ، والفتاوى الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمصار الإسلام – فأبو جعفر المنصور العباس ، حينما قال لمالك : اجعل العلم علماً واحداً ، قال مالك : إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد ، فأفتى كل في مصر بما رأى (٣٣) ، فهذا يدل على أن مالكاً ما عد عمل أهل المدينة حجة لازمة .

[للبحث صلة]

المراجع والمصادر :

(١) المؤطا للإمام مالك ، ديوبند ، ياسر نديم ايند كميني ، بدون تاريخ : ص/٣٥٨.

(٢) الخطيب التبريزي ، الشيخ ولي الدين محمد : مشكاة المصابيح ، دلهي : المكتبة الرشيدية ١٣٧٥هـ : ص/٢٣٩ .

(٣) محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري ، دلهي : المكتبة الرشيدية ١٣٧٥هـ : ج/١ ، ص/٥٣٣ .

(٤) مشكاة المصابيح : ص/٣٢٤ .

(٥) ابن تيمية ، تقي الدين أحمد : صحة أصول أهل المدينة ، السعودية : مطبعة الإمام : ص/٢٦ .

(٦) المؤطا للإمام مالك : ص/٣٢٦ .

(٧) صحيح البخاري : ج/١ ، ص/٢٠ .

(٨) ابن تيمية : صحة أصول أهل المدينة : ص/٣٢ .

(٩-١٠) القاضي عياض : ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، تحقيق : الدكتور أحمد بكير محمود ١٩٦٧م : ج/١ ، ص/٦٦ .

(١١) المؤطا للإمام مالك : ص/١٨١ .

(١٢) ابن حزم الأندلسي : أبو محمد علي بن أحمد : المحلى ، بيروت : دار الجيل : ج/١٠ ، ص/٣٠٧ .

(١٣) ابن حجر العسقلاني : تقريب التهذيب ، مصر : شركة الطباعة المتحدة ١٣٨٤هـ : ج/١ ، ص/٤٣٥ .

(١٤) ابن حزم الأندلسي : المحلي : ج/١١ ، ص/٦٦ .

(١٥) أيضاً : ج/١١ ، ص/٣٩٠ .

(١٦) مالك بن أنس : المدونة الكبرى ، مصر : دار الباز ١٣٢٣هـ : ج/٢ ، ص/٣٩٢ .

(١٧) ابن حزم الأندلسي : الأحكام في أصول الإحكام ، القاهرة : دار الحديث ١٩٩٢م ،

المجلد الأول ، ص/٥٨٥ .

(١٨) القاضي عياض : ترتيب المدارك : ج/١ ، ص/٣٤ .

(١٩) أحمد محمد نور سيف : عمل أهل المدينة بين مصطلحات مالك وآراء الأصوليين ، القاهرة : دار الاعتصام ١٩٧٧م : ص/٩٠ .

(٢٠) أيضاً : ص/٩٢-٩٣ .

(٢١) ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، بيروت : دار الجيل ، بدون تاريخ : ج/٢ ، ص/٣٩٤ .

(٢٢-٢٣) أيضاً : ج/٢ ، ص/٣٩٣ .

(٢٤) محمد بن عيسى : الجامع للترمذي ، ديوبند : كتب خانه رشيدية ، بدون تاريخ : ج/١ ، ص/١٣٨ .

(٢٥) المؤطا للإمام مالك : ص/١٢١ .

(٢٦) أيضاً : ص/٢٠٩-٢١٠ .

(٢٧) أيضاً : ص/٢٨٢ .

(٢٨) أيضاً : ص/٢٨٣ .

(٢٩) أيضاً : ص/٧١-٧٢ .

(٣٠) أيضاً : ص/٣٣٣ .

(٣١) الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد : معالم السنن ، مطبعة أنصار السنة ١٩٤٨م : ج/٥ ، ص/٩٥ .

(٣٢) ابن قيم الجوزية : أعلام الموقعين عن رب العالمين : ج/٣ ، ص/٨٣-٨٨ .

(٣٣) الزرقاني ، محمد بن عبد الباقي : شرح الزرقاني على مؤطأ الإمام مالك ، بيروت : دار المعرفة ١٩٨٩م : ج/١ ، ص/٧-٨ .

العقود بالإنترنيت ووسائل الاتصالات الحديثة

بقلم : الأستاذ محمد أسجد القاسمي الندوي
(دار العلوم الاسلامية بستي - الهند)

منهج الشرع الإسلامي في قضايا التجارة والعقود :

إن الإسلام دين و نظام يلائم الفطرة تماماً لا ينحرف عنها قيد شعرة ، إنه يسر لا عسر فيه ، وسهولة لا صعوبة فيه .

ويتجلى لنا خلال دراسة قضايا العقود ، والتجارة في الكتاب والسنة أن الإسلام قد وجّه إلى المسلمين توجيهات أصولية وأساسية بصددها ، ولم يتعرض للقضايا الجزئية والفرعية فيها ، بل قد فوّض وأحال جميع تفاصيلها وفرعياتها إلى الأوضاع والأعراف ، لكي يغوص المجتهدون والفقهاء والعلماء الراسخون في أغوار الموضوع ، و القضايا الطارئة الحديثة لهم حسب الأوضاع ، والحاجات في عصورهم .

مع أن الإسلام قد فصّل قضايا النكاح والطلاق والإرث والوصية وغيرها من القضايا العائلية ، فقد أوضح أصولها و معظم فروعها و تفاصيلها بشئ من الإطناب .

إن الكتاب و السنّة - قبل كل شئ - يوجهان الناس و يأمرانهم في عقودهم وتجاراتهم بمراعاة تراضي الفريقين على العقد ، فإن العقد لا يمكن أن يحلّ ويجوز إلا به ، فقد ورد في الكتاب الحكيم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ! لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم ﴾ [النساء/٢٩]، وقال : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة * فإن طبن لكم عن شئ

منه نفسا * فكلوه هنيئا مريئا ﴾ [النساء/٤]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يحلّ لامرئ مسلم أن يأكل مال أخيه إلا بطيب نفسه .

فاتضح أن التراضي أول شريطة لصحة العقود المالية ، ولذا قام الإسلام بإبطال العقود الجاهلية التي كانت لا تتصف بالتّراضي تماماً أو شيئاً، ومنها بيع إلقاء الحجر ، والملامسة ، والمنابذة ، والمخاقلة ، والمخابرة ، والمعاومة والثّنيا ، وبيع الحصاة والغرر وغيرها ، كما أن الإسلام مراعاةً لهذه الشريطة الأولى نهى نهياً باتاً عن الكذب والتدليس والجهل المفضي إلى النزاع ، والعراك ، والخيانة ، والتناجش ، والغدر في العقود .

و هناك عديد من التوجيهات الأساسية وجّهها الإسلام ، و لم يتصدّ للتفاصيل جمعاء تفويضاً لها إلى العلماء الثاقبين الراسخين في كل عصر ومصر.

اتّحاد المجلس وتفرّقه :

إن مجلس العقد واتحاده يعني ويهدف أصلاً إلى اقتران الإيجاب والقبول وترابطهما ، وهذا الترابط هو الموجد للعقود ، وبه يتبيّن تراضي الفريقين على العقد .

ومجلس العقد : هو الحال التي يكون فيها المتعاقدان مشتغلين فيه بالتعاقد ، وبعبارة أخرى : هو اتحاد الكلام في موضوع التعاقد (١) .

والإيجاب هو تقديم أحد الفريقين طلب العقد إلى الآخر ، والقبول هو موافقة الفريق الآخر وقبوله لهذا الطلب ، ولا يمكن أن يتحقق معنى اتصال القبول بالإيجاب إلا بوجودهما في مجلس واحد ، و بعدم الصدور من أحد العاقدين ما يؤشّر إلى إعراضه ورفضه ، وبعدم رجوع الموجب في إيجابه قبل قبول الفريق الآخر .

وكان وجود الإيجاب والقبول في مجلس واحد ، هو الوسيلة الكبرى للمواصلة والاتصال في العصر القديم ، ولذا نرى الفقهاء اهتمّوا اهتماماً بالغاً بمجلس العقد واتّحاده .

و لكنه لا يؤدي لازما و حتما إلى أن يتوجب و يتحتم الترابط والاتصال الحقيقي لمجلس الإيجاب والقبول لوجود كل عقد وصحته ، ويقتصر أمر اتحاد المجلس عليه ، وإلا فلا يمكن أن يصح ، ويوجد عقد بدون تلاقي الفريقين و تواجههما و تقابلهما ، وإنما المراد باتحاد المجلس اتحاد الزمن أو الوقت الذي يكون المتعاقدان مشتغلين فيه بالتعاقد ، فمجلس العقد هو الحال التي يكون فيها المتعاقدان مقبلين على التفاوض في العقد (٢) ، ولذا قال الفقهاء : إن المجلس يجمع المتفرقات (٣) .

بل الفقهاء المجتهدون – رحمهم الله رحمةً واسعةً – قد قرروا وقضوا بصحة العقود و انعقادها بين المتعاقدين الغائبين اللذين لا يوجد بينهما تواجه وتقابل ، وقد أطالوا البحث بصدد هذا الأمر .

كانت الكتابة والمراسلة أكبر وسيلة ، وأعمها للترابط بين الغائبين ، ثم كان إرسال الرسول والسفير أيضاً وسيلة معروفة للترابط ، وقد يوجد التفصيل حول هاتين الوسيلتين في كتب الفقهاء ، فإنهم وافقوا على صحة ترابط الإيجاب والقبول ، واتصالهما بهاتين الوسيلتين :

١- الكتابة والمراسلة .

٢- وإرسال الرسول والسفير والوسيط .

إن الوقوف على اتحاد المجلس – حينما يكون المتعاقدان متقابلين – بيّن تماماً ، ولكن حقيقة مجلس العقد المشترك وصورته وكيفية ترابط العاقدين إيجاباً وقبولاً لا تتضح كلياً حينما يكون المتعاقدان في مكانين مختلفين غير متقابلين ، لأن الاتحاد المجلسي الحقيقي لا يتوافر عند عدم تلاقيهما ، بل لا يمكن إلا وجود المجلس الحكمي فحسب .

وقد يتضح بأقوال الفقهاء الكرام أنه إذا أرسل أحد الفريقين إيجابه (طلب العقد) برسالة وكتاب أو برسول وسفير ، ثم وصل هذا الطلب إلى

الثاني ، فالمجلس الذي قد وصل إليه الطلب يعد مجلس العقد ، ويجب لصحة العقد أن يتم قبوله في ذلك المجلس ، هذا هو المجلس الحكمي ، فقد كتب صاحب الهداية : "و الكتاب كالخطاب ، و كذا الإرسال حتى اعتبر بمجلس بلوغ الكتاب وأداء الرسالة" (٤) .

وقد أوضح العلامة الكاساني رحمه الله طريق التعاقد بالكتابة : "وأما الكتابة : فهي أن يكتب الرجل إلى الرجل : أما بعد ! فقد بعت عبدي فلاناً منك بكذا ؛ فبلغه الكتاب ، فقال في مجلسه : اشتريت ، لأن خطاب الغائب كتابة ، فكأنه حضر بنفسه ، و خاطب الإيجاب ، و قبل الآخر في المجلس" (٥) .

وكتب العلامة ابن همام رحمه الله : "فلما بلغه الكتاب ، وفهم ما فيه ، وقال – قبلت – في المجلس ، انعقد" (٦) .

وقد أوضح الدكتور وهبة الزحيلي : "ومجلس التعاقد بإرسال رسول أو بتوجيه خطاب ، هو مجلس تبليغ الرسالة أو وصول الخطاب ، لأن الرسول سفير ، ومعبّر عن كلام المرسل ؛ فكأنه حضر بنفسه ، وخوطب بالإيجاب فقبل فينعقد العقد ، وفي مكاتبة الغائب بخطاب يجعله كأنه حضر بنفسه ، وخوطب بالإيجاب فقبل في المجلس ، فإن تأخر القبول إلى مجلس ثان لم ينعقد العقد ، وبه يتبيّن أن مجلس التعاقد بين حاضرين ، هو محل صدور الإيجاب ، ومجلس التعاقد بين غائبين ، هو محل وصول الكتاب أو تبليغ الرسالة (٧) .

وقد رأى أصحاب الإمام مالك رحمه الله وأتباعه لصحة البيوع والعقود المالية بالكتابة ، و إرسال الرسول ، و قد عدوا مجلس تبليغ الرسالة و وصول الخطاب مجلسي العقد الذي يجب تمام القبول فيه لصحة العقد : "واشترط المالكية الفورية في الإيجاب حين العلم" (٨) .

و قال صاحب كشاف القناع العلامة البهوتي رحمه الله : "إن كان المشتري غائباً عن المجلس فكاتبه البائع أو راسله : إني بعتك داري بكذا ، فلما بلغه الخبر قبل البيع صحّ العقد" (٩) .

و لكن الشافعية قد اختلفوا في هذا الأمر ، فبدا لهم رأيان في الموضوع :

١- لا يصح العقد بالمكاتبة مع وجود القدرة على النطق ، وقد اختاره الإمام أبو إسحاق الشيرازي رحمه الله ، و قال: "و إن كتب رجل إلى رجل بيع سلعة فوجهان : أحدهما : ينعقد البيع لأنه موضوع ضرورة ، والثاني : لا ينعقد ، وهو الصحيح فإنه قادر على النطق" (١٠) .

٢- يصح العقد بالمكاتبة ، وقد اختاره الإمام النووي رحمه الله تعالى ، فقال : "الأصح أنه يصح البيع ونحوه بالمكاتبة لحصول التراضي ، وقد صرح الغزالي في الفتاوى والرافعي في كتاب الطلاق بترجيح صحة البيع ، ونحوه بالكتابة ، قال أصحابنا : وإن قلنا : يصح ؛ فشرطه أن يقبل المكتوب إليه بمجرد اطّلاعه على الكتاب ، وهذا هو الأصح" (١١) .

وقد اشترط الشافعية أن يتم القبول بعد تبليغ الرسالة و وصول الخطاب تواً على الفور ، و إلا فلا يصح العقد بدون ارتباط الإيجاب بالقبول على الفور ، قال الرملي رحمه الله من الشافعية : "يشترط أن يكون القبول فور الإيجاب ، فلو تخلّل لفظ أجنبي لا تعلق له بالعقد ، ولو يسيراً بأن لم يكن من مقتضاه ، ولا من مصالحه ، ولا من مستحباته ، لا يتحقق الاتصال بين القبول والإيجاب ، فلا ينعقد العقد" (١٢) مع أنه قد فسّر غير الرملي من الشافعية اتصال القبول بالإيجاب بأنه السائد عرفاً بين الناس ، فلا يضر الفصل اليسير ، ويضر الطويل ، وهو ما أشعر بإعراضه عن القبول ؛ فيكون رأى الشافعية كغيرهم (١٣) .

والأئمة الثلاثة : – أبو حنيفة ، ومالك ، وأحمد – رحمهم الله يعدون مجلسي تبليغ الكتاب ، و وصول الخطاب مجلسي العقد ، ويوجبون تمام القبول خلال ذلك المجلس – ولو كان طويلاً – لصحة العقد ، ولا يرون الفورية في القبول شرطاً لازماً لصحة العقد و وجوده ، إنهم لا يشترطون الفور في القبول ؛ لأن القابل يحتاج إلى فترة للتأمل ، فلو اشترطت الفورية لا يمكنه التأمل ، وقد كتب الدكتور الزحيلي : "قرر جمهور الفقهاء : (الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة) أنه لا يشترط الفور في القبول لأن القابل يحتاج إلى فترة للتأمل ؛ فلو اشترطت الفورية لا يمكنه التأمل ، وإنما يكفى صدور القبول في مجلس واحد ، ولو طال الوقت إلى آخر المجلس ... لأن المجلس جامع للمتفرقات ؛ فتعتبر ساعاته وحدة زمنية تيسيراً على الناس ، ومنعاً للمضايقة والحرج ، ودفعاً للضرر عن العاقدين قدر الإمكان" (١٤) ، وهذا كله في العقود المالية .

أما عقد النكاح بين الغائبين بالمكاتبة والمراسلة ، فهو يختلف كثيراً عن العقود المالية ، ومعلوم أن عقد النكاح يحمل أهمية كبرى وقداسة وخطورة أكثر من العقود الأخرى ، ولذا قد زاد الشرع الإسلامي في شروطه وأحكامه ، واعتنى بمراعاتها كثيراً ، وأكبر فارق بينه وبين العقود الأخرى ، هو اشتراط وجود الشاهدين في عقد النكاح لا في غيره من العقود ، ولذا نرى مواقف الفقهاء والعلماء شديدة في قضية عقد النكاح بالمكاتبة بين الغائبين .

نذكر ههنا شيئاً من آراء الفقهاء في هذه القضية .

إن الإمام مالك وأصحابه لا يرون بصحة عقد النكاح بالكتابة ، قد ورد في الشرح الصغير : "و لا تكفى الإشارة ولا الكتابة إلا لضرورة خرس" (١٥) .

و هذا هو القول المختار لدى أصحاب الشافعي رحمه الله ، أما القول الثاني لهم : فهو أن النكاح بالكتابة صحيح ، و قد أوضحه الإمام النووي : "وحيث حكمنا بانعقاد النكاح بالمكاتبة ، فليكتب : زوجتك بنتي ، و يحضر الكتاب عدلان ، ولا يشترط أن يحضرهما ، بل لو حضرا بأنفسهما كفى ، فإذا بلغ الكتاب الزوج فليقبل لفظاً أو يكتب القبول ، ويحضر القبول شاهدا عدل ، فإن شهد آخران ، فوجهان : أصحهما لا يصح ؛ لأنه لم يحضره شاهداه ، و الثاني : الصحة ؛ لأنه حضر الإيجاب والقبول شاهدان ..." (١٦) .

أما الأحناف والحنابلة ، فهم يرون بصحة عقد النكاح كتابةً بين الغائبين ، و قد أوضح أصحاب الإمام أبي حنيفة رحمه الله هذه القضية ، نذكر طرفاً منها : إن التعاقد بالكتابة لا يجوز لدى الأحناف بين الحاضرين المتقابلين لا في النكاح ، ولا في العقود الأخرى ، أما عقد النكاح بين الغائبين ، فلا يصح فيه الإيجاب والقبول كتابةً وتحريراً ، بل اللازم أن يكون الإيجاب بالكتابة والقبول بالنطق شفهياً .

وبيّن الإمام الشامي رحمه الله صورة هذا النكاح بكذا : "وصورته أن يكتب إليها يخطبها ، فإذا بلغها الكتاب أحضرت الشهود ، وأقرأته عليهم ، وقالت : زوجت نفسي منه ، أو تقول : إن فلاناً كتب إليّ يخطبني ؛ فاشهدوا أني زوجت نفسي منه ، أما لو لم تقل بحضرتهم سوى زوجت نفسي من فلان لا ينعقد لأن سماع الشطرين شرط صحة النكاح ، وباسماعهم الكتاب أو التعبير عنه منها قد سمعوا الشطرين وبخلاف ما إذا انتفيا" (١٧) .

وقد كتب الدكتور الزحيلي : إذا كان أحد العاقدين غائباً عن مجلس العقد ينعقد الزواج عند الحنفية بالكتابة أو إرسال رسول ، إذا حضر

شاهدان عند وصول الكتاب أو الرسول ، لأن الكتاب من الغائب خطابه ، قال الحنفية : الكتابة من الغائب بمنزلة الخطاب من الحاضر ، مثال الكتاب : أن يكتب الرجل لمخطوبته : تزوجتك أو زوجيني نفسك ، فقالت المرأة في مجلس وصول الكتاب : قبلت الزواج ، بحضور شاهدين ، صح الزواج ، لأن سماع الشاهدين شطري العقد : (الإيجاب والقبول) ، شرط لصحة الزواج" (١٨) .

وقد صرح العلماء الحنفية بأن وجود الشاهدين لا يجب عند ما يكتب الموجب ويرسل إيجابه إلى الآخر ، بل يجب وجودهما في المجلس الذي يقبل فيه الفريق الثاني العقد ، وأيضاً لا يجب قبول إيجاب النكاح كتابةً في المجلس الذي وصل فيه الكتاب ، بل يصح النكاح في مجلس آخر غير مجلس وصول الكتاب وتبليغ الرسالة عندما ينطق الفريق الآخر كلمات القبول عند حضور الشاهدين بعد إسماعهما الكتاب أو إخبارهما بما فيه .

مع أن العقود المالية الأخرى إذا عقدت بين الغائبين ؛ فلا تصح إلا إذا تمّ القبول في نفس المجلس الذي قد وصل فيه الكتاب ، فاختلاف المجلس يفسده ، أما النكاح فلا يفسد بتفرق المجلس واختلافه .

قد اتضح بما سبق من التفصيل أن الأئمة الفقهاء القدامى لم يلحّوا ويصرّوا في صحة العقد على تلاقي المتعاقدين ، وتواجههما في مجلس ، ومكان واحد ، بل قد راعوا جانب التوسع في القضية ، ورأوا إلى جميع وسائل الاتصالات ، و صور الارتباط الموجودة الممكنة في زمانهم ، و فكروا فيها في ضوء التوجيهات والإرشادات الإسلامية الأساسية ، ثم أجازوا الناس باستخدامها واستعمالها .

واتضح أيضاً أن ليس الأصل اجتماع الموجب والقابل في مجلس واحد ، بل الأصل هو ترابط الإيجاب و القبول واتصالهما ، والآن حينما قد توسّع نطاق العقود التجارية ، و حدثت حاجات تجارية حديثة عديدة ، و

كلها تتطلب تركيز جل عناياتنا على ترابط الإيجاب و القبول بدلا من الإصرار على الاتحاد والاتصال الحقيقي لمجلس العقد ، ولأن نهتمّ بوسائل الارتباط والاتصال ، و أنواعها و أشكالها التي قد ظهرت إلى حيّز الوجود نتيجةً للرقي العلمي والتقني الراهن المدهش .

ولا يعزبن عن بالنا أن الهاتف والفاكس والإنترنت وغيرها ليست وسائل حديثة للتعبير ، إنما هي وسائل جديدة للارتباط والاتصالات ، ولم يكن في الزمن القديم أي شكل لترابط حديث الفريقين إلا أن يتلاقيا ويتواجها ، ولا يكون بينهما أي مسافة مكانية ، أو تكون المسافة محدودة قليلة بحيث يمكن لأحد السماعُ لحديث الآخر ، كما صرح النووي رحمه الله أن الرجلين البعيدين مسافة إن صاحا وتبايعا ، وسمع كل واحد منهما قول الآخر ، وتمّ الإيجاب والقبول ؛ فالعقد صحيح لا محالة .

فإن مخترعات العصر الراهن الذي نعيشه قد يسرت ترابط حديث الرجلين البعيدين على مسافة مئات آلاف من الأميال ، فيمكن لأحد من سكان أقصى الشرق أن يتعاقد جالساً في بيته مع شخص من قطّان أقصى الغرب بالهاتف ، فكل منهما يتكلم ويتحدث مع الآخر ، ويسمع صوته ويفهم كلامه ، و هكذا يرتبط الإيجاب و القبول تواً رغم هذه المسافة الهائلة بينهما ، وعلى هذا يكون مجلس العقد في المكالمة الهاتفية هو زمن الاتصال ما دام الكلام في شأن العقد ، فإن انتقل المتحدثان إلى حديث آخر ، انتهى المجلس ، وبالفاكس يترابط الإيجاب والقبول كتابةً ، وعلى هذا يكون مجلس العقد في إرسال الكتاب بالفاكس ، هو مجلس وصول الفاكس ، أما "الإنترنت" : فهو وسيلة كبرى شاملة للمكالمة الشفهية ، والترابط الكتابي ، بل يمكن لكل من المتعاقدين رؤية الآخر ، وإبداء الرضاء والقبول لطلب العقد شفهياً وكتابياً على الفور .

وعصارة البحث أن اتحاد المجلس لا يقتصر في تلاقي الفريقين في مجلس

ومكان واحد ، بل الأصل هو ترابط الإيجاب والقبول مع اتحاد الزمن أو الوقت الذي يشتغل فيه الفريقان بالتعاقد .

ولما أن هذا الأصل ينطبق ويتم في العقود بوسائل الاتصالات الحديثة من الهاتف والفاكس والإنترنت وغيرها ، فلا بأس بأن نسمح لصحة العقود بها مع مراعاة حكيمة دقيقة للأصول والأساسيات التي قام بتوجيهها الشرع الإسلامي في باب العقود .

صحة التبايع وانعقاده بالإنترنت :

إن قدم أحد الفريقين طلبه وإيجابه لبيع شئ أو شرائه بالإنترنت ، ثم وافق الفريق الآخر هذا الطلب ، وأبدى قبول هذا الإيجاب في نفس ذلك الاتصال ؛ فيتم هذا العقد ويصح ، ولكن إذا انقطع ذلك الاتصال قبل القبول ، ثم اتصل ثانياً يلزم إذاً التجديد في الإيجاب والقبول ، وكذا يُعَدُّ زمن الاتصال ما دام الكلام في شأن العقد ، فإن انتقل الفريقان إلى كلام آخر قبل القبول انتهى المجلس ، ويجب التجديد في الإيجاب والقبول .

عدم صحة التعمد في العثور على الأمور التجارية الخاصة السرّية للآخر :

إن الأمور التجارية التي يريد التاجر أن يضعها في طيّ الخفاء تحت السرّ ، لا يصح أن يحاول الآخر للاطلاع والعثور عليها بسرق بريده أو بمعرفتها بالإنترنت أو بسماع مكالماته الهاتفية خفية وغيرها .

قضية التعاقد بطريق التلاقي على الفيديو :

يصح التعاقد والتبايع والتجارة بطريق التلاقي على الفيديو ، لأن كلاً من المتعاقدين يسمع فيه كلام الآخر ويراه ، وهذا هو الارتباط والاتصال الحقيقي في الإيجاب والقبول .

التعاقد بالهاتف :

يصح التعاقد بالمكالمات الهاتفية ، و لكن بشرط أن يكون كل من

الفريقين عارفا بصوت الآخر، وأن يكون القبول بعد الإيجاب فوراً في ذلك الاتصال بدون الانقطاع ، ولا بالانقطاع بحديث آخر .

رؤية الشاهدين الإيجاب والقبول كتابةً بالإنترنت :

لا ينعقد النكاح في الإيجاب والقبول للفريقين كتابةً بالإنترنت ، ولو كان الشاهدان يريان هذا الإيجاب والقبول عند الموجب والقابل كليهما .

بل لا يصح النكاح كتابةً بالإنترنت إلا أن يصل الإيجاب الكتابي للنكاح إلى الفريق الآخر، ثم يخبر الفريق الثاني بهذا الإيجاب ، والطلب ، الشاهدين ويتكلم بألفاظ القبول ، فَعُلِمَ أن الكتابة فحسب لا تكفى ، بل يجب للقابل أن ينطق كلمات القبول في حضور الشاهدين .

عقد النكاح هاتفياً :

لا يصح النكاح هاتفياً إلا أن يحضر الشاهدان عند القابل ، ويعرفا الموجب والقابل وأصواتهما ، ثم يسمعا الإيجاب والقبول كليهما ، وإن حضر الشاهدان لدى الموجب أيضاً ؛ فهو أحسن .

لأن هذين المتعاقدين والشاهدين لَيُعَدُّون متحدي المجلس .

فاتضح أن النكاح الهاتفي يصح بهذا الشرط .

التوكيل في النكاح :

إذا كان اجتماع المتعاقدين وتلاقيهما صعباً عسيراً لسبب من الأسباب يصح أن يؤكل واحد منهما رجلاً مواطناً في بلد الآخر ، ويمكن هذا التوكيل بالمراسلة والهاتف والفاكس والإنترنت وغيرها .

تنبيه :

إن عقد النكاح يحمل أهميةً وخطورةً بالغةً ، وله شروط عديدة من حضور الشاهدين وغيرها ما لا يجب في العقود الأخرى ، فهذا كله يتطلب لأن يُتجنَب النكاح هاتفياً ، و التوكيل في النكاح بدون حاجة شديدة دعت

إليه ، فإنه ليس كعامة العقود يعقد مرة بعد أخرى ، فينبغي أن يلاحظ قُدسيتها وأهميتها .

هذا ما تيسّر لي والله أعلم بالصواب و إليه الملجأ و المآب

الهوامش :

(١) الفقه الإسلامي وأدلته : د/وهبة الزحيلي : ١٠٦/٤ .

(٢) المدخل الفقهي العام : د/مصطفى الزرقاء : ف/١٧١ .

(٣) بدائع الصنائع : العلامة الكاساني : ١٣٧/٥ .

(٤) الهداية : العلامة المرغيناني .

(٥) بدائع الصنائع : الكاساني : ١٣٨/٥ .

(٦) فتح القدير : العلامة ابن الهمام : ٤٦٢/٥ .

(٧) الفقه الإسلامي وأدلته : د/الزحيلي : ١٠٩/٤ .

(٨) الموسوعة الفقهية : ٢٠٨/١ .

(٩) كشّاف القناع : العلامة البهوتي : ١٤٨/٣ .

(١٠) المهذّب : الإمام أبو إسحاق الشيرازي : ٢٥٧/١ .

(١١) المجموع شرح المهذّب : الإمام النووي : ١٦٧/٩ .

(١٢) نهاية المحتاج : ٨/٣ ، ومغنى المحتاج : ٦/٢ .

(١٣) الفقه الإسلامي وأدلته : ١٠٨/٤، بالإشارة إلى المجموع : للنووي : ١٧٩/٩، وحاشية الباجوري على ابن قاسم الغزي : ٣٥٤/١ .

(١٤) أيضاً : ١٠٧/٤ . (١٥) الشرح الصغير مع بلغة السالك : ١٧/٢ .

(١٦) الأشباه والنظائر : السيوطي : ص/٣٣٤ .

(١٧) ردّ المحتار : ابن عابدين الشامي : ١٢/٣-١٣ .

(١٨) الفقه الإسلامي وأدلته : للزحيلي : ٤٥/٧ .

قراءة في كتاب :

التدخين : أضراره

تأليف الدكتور/المهدي البكروري

عرض الدكتور محمد بن سعد الشويعر
(رئيس تحرير مجلة : "البحوث الإسلامية" - الرياض)

كتاب صغير في حجمه ، ولكنه كبير في دلالته ، وفي العمق الإسلامي ، والصحي ، والاجتماعي الذي يحمل بين دفتيه ، فقد حرص مؤلفه الدكتور/المهدي البكروري ، أن يقدم دراسة مستوفاة من منهج الإسلام في المحافظة على الصحة ، و وقاية النفس البشرية مما يضربها صحياً، أو يؤثر على المجتمع في شتى مناحيه ومطالبه .

هذا الكتاب واسمه : التدخين أضراره ، حكم الإسلام فيه .. الوقاية والعلاج الذي يقع في ٦٥/صفحة من القطع الصغير ، قد صدر ضمن السلسلة الشهرية التي تصدرها جمعية البعث الإسلامي في مدينة تطوان بالمملكة المغربية .

وتصدر هذه السلسلة ضمن رسائل النور ، وهذا الكتاب هو رقم/٦ من هذه السلسلة ، و من مهمات هذه الرسائل حسبما جاء في ظهر الكتاب أنها : سلسلة شهرية تحقق لقارئها ما يتطلع إليه من ثقافة في شتى المجالات ، وذلك في إطار تصور إسلامي حق .

وقد جاء في مقدمة الدار الناشرة تعريف بالكاتب ففي ص/٦ ، و ردّ القول التالي : والرسالة التي بين يديك - قارئ الكريم - كتبها شاب تربى في بيئة مسلمة ، و زادته دراسته العلمية (الطب) تمسكاً بدينه ، وتفهماً

لنصوص الكتاب والسنة ، فاستطاع بذلك أن يقدم لنا هذه الدراسة المركزة حول هذا الوباء الخطير الذي يفسد الأجسام ، ويضيع الأموال .

إن الدخان داء فتاك – بلا شك – فكم عقدت من مؤتمرات لدراسة أضراره وسبل مكافحته ، وكم نشرت في المجلات والجرائد من تحقيقات علمية تثبت أضراره ، لكن المؤسف أن الناس لا زالوا على إقبالهم عليه .

ومساهمة منا في التوعية بأخطار الدخان نقدم هذه الرسالة ، آملين الاستفادة منها ، والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم .

ونرى المؤلف بعد ذلك يقسم رسالته هذه إلى الموضوعات التالية :

= المقدمة وعنوانها : لماذا كل هذا الاهتمام بموضوع التدخين ؟

= نبذة تاريخية عن ظهور وانتشار ظاهرة التدخين .

= أسباب إقبال الناس على التدخين .

= الأضرار الصحية للتدخين .

= الأضرار الاقتصادية والاجتماعية .

= حكم الإسلام في التدخين .

= الوقاية والعلاج .

وقد ختم رسالته هذه بثبت المراجع ، وجدول الخطأ والصواب .

فعن ظهور الدخان ، قال : إن الأوربيين عرفوا التدخين أول مرة عام ١٤٩٢م عند اكتشف كريستوف كولمبوس أمريكا، و وصف مشاهدته للهنود الحمر ، و هم يلفون الأوراق التبغ ، ثم يشعلون فيها النار ، و يستنشقون أبخرته بجزيرة "توباكو" إحدى جزر الأنتيل التي اشتق من اسمها لفظة تبغ باللغات الأوربية .

وقد كان السكان الأصليون لهذه البلاد يحرقونه أيضا في المناسبات الدينية ، وفي اعتقادهم لطرد الأرواح الشريرة ، وفي الاحتفالات ، وعند دفن الموتى .

ويذكر الكاتب نادرة لأول من استعمل التبغ من الأوربيين ، وهو ملاح أسباني كان مرافقاً لكلمبوس ، أحضر معه التبغ إلى البرتغال ، ودخنه هناك فظن الناس أن الشيطان قد تغمص لما شاهدوا الدخان يتدفق من أنفه و فمه ، وسجن البحار ورفاقه من المدخنين .

كما قال : بأن مسئولية انتشار هذه الآفة في أوربا تعود إلى سفير فرنسا في البرتغال "جان نيكو" الذي جرّب التبغ هناك ، وتعلق به ومدحه للناس ، ومن اسمه اشتق اسم النيكوتين : "المادة الفعّالة الرئيسية في التبغ" .

وعن دخول هذا الداء لديار الإسلام وانتشاره فيها ، يقول : الراجح أنه بعد حوالي قرن من اكتشافه في أمريكا ، وظهوره عن طريق تركيا ، والموانئ الأوربية على البحر الأبيض ، وقد أثار ظهوره في البلاد الإسلامية ، وانتشار تعاطيه امتعاض العلماء ، واستياء بعض الحكام حتى إن الناصري ، قد علق على هذه الظاهرة بقوله : ومن تأمل أدنى تأمله في قواعد الشريعة وآدابها علم يقيناً أن هذه العشبة حرام ، لأنها من الخبائث التي حرمها الله تعالى على هذه الأمة المطهرة .

كما أفتى بعض العلماء الأتراك بنجاسة التبغ وبفساد صلاة شاربه ، وأورد أبياتاً في ذمها من قول الخرشي شارع مختصر خليل .

ثم ذكر عن انتشاره في أوربا ، حيث إن القفزة الكبيرة في انتشارة لدى المدخنين جاءت أثناء الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م عند ما كانت حكومات الدول المتحاربة توزعه مجاناً على جنودها بقصد الترفيه عنهم ، ومنحهم شيئاً من الهدوء النفسي الذي قد يعينهم على مواجهة ظروف الحرب القاسية .

وعن طريق الاستعمار الأوربي لدول العالم الثالث ، ومن بينها الدول الإسلامية ، وبواسطة الغزو الثقافي الذي تلا ذلك متمثلاً في تأثير الغرب على وسائل الإعلام في العالم الثالث ، انتشرت عادة التدخين في هذه البلاد انتشار النار في الهشيم ، وانتشرت معها صناعة السجائر في دول خافت أن يفوتها قطار التصنيع فركبت في عرباته الرديئة .

ثم يذكر الكاتب حقيقة مذهلة ، وهي أن الغرب نتيجة لتزايد وعيهم بأضرار الدخان اضطرت الشركات الصانعة له إلى تخفيض نسبة النيكوتين ، والقطران في سجائرها ، وكتابه تحذيرات عن عواقب التدخين السيئة على علبها ، ولما شعرت الشركات المحتكرة لبيع وصناعة التبغ في العالم أن أسواقها في أوربا وأمريكا قد أصبحت مهددة اتجهت إلى تركيز دعايتها في بلاد العالم الثالث مستعملة مختلف وسائل الإغراء : هدايا ، علب سجائر مجانية ، أقلام وغيرها ، فنتج عن ذلك استهلاك مهول ومرتفع في هذه البلدان إذا قورن بما في بلاد الغرب .

ويتعرض المؤلف لأضرار التدخين الصحية والاجتماعية ، فذكر من ذلك :

١- المواد السامة في التبغ : فقال : إن التبغ يحتوي على ٢٥٠/مادة سامة ، أهمها : النيكوتين : وهي مادة سامة جداً لدرجة أن وضع قطرة واحدة من محلول النيكوتين المركز على لسان كلب تكفي لكي ترديه قتيلاً في الحال من جراء شلل تنفسي ، أما تأثير النيكوتين في القلب ، فهو مسئول عن ارتفاع نبضات القلب ، وارتفاع الضغط الدموي ، وتقلص الدموية الجانبية ، وانخفاض حرارة الجلد ، وتنشيط المخ ، وازدياد

أوكسيد الكربون : وهو غاز سام يوجد في أنبوب عادم محد مع خضاب الدم ، وبالتالي يقلل من كمية الأوكسجين

التي تصل إلى الخلايا بنسبة ١٥٪ عند كبار المدخنين ، وهذا هو الذي يشرح لنا عجز قيام المدخنين بالتمارين الرياضية ، كما يفسر لنا الإصابة ببعض أمراض القلب .

= القطران : وهو خليط من مواد ثبتت مسئوليتها في إحداث سرطانات تجريبية عند الحيوان ، كما أنها تحدث اضطرابات في شكل وترصيص خلايا القصبة الهوائية والشعب .

٢- التدخين والسرطان : يرى المؤلف أن مسئولية التدخين في إحداث السرطان قد باتت مؤكدة بشكل لا يدع مجالاً للجدل كيفما كانت طريقة التدخين : فتدخين السجائر يسبب سرطان الرئة ، و استعمال الغليون يسبب سرطان الشفة واللسان ، واستعمال السعوط لم يخل من خطر الإصابة بسرطان تجويف الأنف ، ثم ذكر تلخيصاً لحالات السرطان عند المدخنين المركزة في : سرطان الرئة :

= سرطان أخرى : كالشفة والحنجرة ، والمرئ والمثانة والكلية ، وسرطان عنق الرحم عند المرأة .

و يطمئن الكاتب المدخنين بإدمان ، بأن دراسات علمية أثبتت أن احتمال الإصابة بسرطان الرئة عند مدمن قديم تبدأ في الانخفاض عند ما يقلع عن التدخين بصورة نهائية حتى يوازي هذا الاحتمال مثيله عند غير المدخنين بعد مرور بضع سنين .

٣- أمراض الجهاز التنفسي : يقول المؤلف : إن التدخين بالإضافة إلى تأثيره في سرطان الرئة ، يتسبب في أمراض أخرى ، مثل :

= التهاب الشعب المزمن : إذْ من المعلوم أن ٧٥٪ من الوفيات من جراء هذا المرض سجلت عند المدخنين .

= داء انتفاخ الرئة "الأمفيزيما" .

= التهاب شرايين الأطراف عند الشباب المسمى : "داء ليوبو اجير" .

٤- الذبحة الصدرية : وموقعها في الشرايين التي تغذى عضلة القلب : و هذا الداء يحدث بنسبة ضعفي نسبة حدوثه عند غير المدخنين إذا كان الشخص يدخن علبة في اليوم ،وبنسبة/٣ الأضعاف إذا كان يدخن أكثر من علبة في اليوم .

٥- قرحة المعدة :

وللتدخين دور كبير في إحداث زيادة في إفراز حامض الكلوريين رياح الذي يسبب تآكل جدار المعدة ، ومن ثم تشكيل القرحة ، كما أن التدخين يعوق التئام هذه القرحة .

٦- أما المرأة الحامل فإنها تدفع ضريبة كبيرة تتمثل في الأضرار التالية :

= حالات الإجهاض .

= ولادة الطفل قبل الأوان .

= وفاة الرضيع في الأسبوع الأول ،ويحدث هذا بنسبة ٣٠٪ .

= تحول المولود وضعف مقاومته للأمراض .

= حالات النزيف عند الوضع .

= خطر الإصابة بأمراض تخثر الدم .

٧- ثم ذكر المؤلف أمراضاً لها علاقة بالتدخين ، مثل :

= الشيخوخة المبكرة .

= ضعف الشهية للطعام .

= ضعف البصر .

= البرود الجنسي .

= استعداد أكبر للإصابة بداء السل .

= انخفاض أعمار المدخنين "ولو أن الأعمار بيد الله" .

= تلون الأسنان باللون الأصفر .

وقد تحدث المؤلف عن كل مرض من هذه الأمراض وأثر التدخين فيه .

ثم يتحدث المؤلف عن الأضرار الاقتصادية والاجتماعية للتدخين ، ويذكر منها :

١- مصاريف شراء الدخان .

٢- الحرائق التي تتسبب من جراء التدخين حيث يذهب ضحيتها ألوف البشر سنوياً .

٣- مصاريف العلاج .

٤- قلة الإنتاج .

٥- ضياع ٤،٥/مليون هكتار من الأراضي الصالحة للزراعة في العالم حيث تزرع تبغ .

وقد قرن معلوماته هذه بإحصائيات في أمريكا مثلاً ، ثم بين الأضرار الاجتماعية لاقتران الدخان بشرب الخمور، فالدخان مدخل لكل رذيلة ، وأوضح أن نسبة ٦٢/إلى ٩٥٪ من مدمني الخمور يدخنون بإفراط ، ونسبة ٢٣٪ من المدخنين قد جربوا تعاطي المخدرات ، وثبت أن ٥٨٪ من الشباب الذين يتعاطون الحشيش مدخنون .

وتعرض في الفصل الخامس لحكم الإسلام في التدخين ، فوصل إلى نتيجة التحريم في الآراء التي أورد .

وفي الفصل السادس يضع أسساً للوقاية والعلاج ، وذكر الفرق المستعجلة المستعملة في أمريكا وأوربا منها :

١- الإقلاع الفجائي والنهائي عن التدخين ، ومن المساعدة المعينة وجود الشخص في إجازة بعيداً عن المدخنين ، وفي مكان يصعب فيه الحصول على السجائر .

٢- التقليل التدريجي لعدد السجائر .

٣- استعمال البدائل : ومن ذلك الاستعانة بالحلوى والعلك ، ومن هذه البدائل علك يحتوي على مادة النيكوتين .

٤- الأدوية : المسكنات خاصة .

٥- العلاج النفسي الجماعي .

٦- التنويم المغناطيسي .

٧- العلاج النفسي المسلكي ، ومن وسائلها محاولة تدخين أكبر كمية من السجائر في مدة وجيزة لعل ذلك يحدث للشخص نفوراً من التدخين .

لكن المؤلف لا ينسى العلاج الإسلامي ، الذي من طبيعته الصبر والعزم والتغلب على شهوات النفس الأمارة بالسوء ، وقد تحدث عن كل واحد من الأسباب الآتية التي تعين على القضاء على عادة التدخين ، وهي :

= الصوم .

= تذكر الموت والبعث .

= تلاوة القرآن الكريم .

= تقوى الله .

ثم بعد الحديث عن هذه الأمور وأثرها في تقوية العزيمة بترك هذا الداء الذي يبتلي به بعض الناس ، ختم كتابه بهذا الدعاء : اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وبالله التوفيق والسداد .

وخلاصة القول أن هذا كتاب صغير في حجمه ، كبير في فائدته ، عميق في مدلوله معين على ترك هذا الداء لمن ابتلي به لأنه يناقش الأمور من منطق العلم ، ومدخل العقل ، وهو جدير بالقراءة ،والفهم فهماً عميقاً لما فيه من فوائد مركزه ، ومعلومات أصيلة ومتينة . والله الموفق .

★ ★ ★

الصحافة المصرية و تطورها

بقلم : الدكتور محمد طارق القاسمي
(قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة عليكره الاسلامية عليكره - الهند)

لا يخفى أن الصحافة بدأت في مصر بالحملة الفرنسية تحت قيادة نابليون بونابرت الذي كان حريصاً على نشر المبادئ الفرنسية في مصر وغيرها من البلاد الشرقية ، فأنشأ لتحقيق هذا الغرض جريدتين باللغة الفرنسية : أولاهما : إخبارية خالصة ، هي جريدة : "كوريه ديجيت" (Le Courrier De Egypte) يعني بريد مصر ، والأخرى علمية خالصة "دكادجبسيان" (La Decade Egyptienne) يعني العاشور المصري سنة ١٧٩٨م . وذهبتا بذهاب تلك الحملة (١) ، وكان بونابرت يريد أيضاً أن يصدر جريدة باللغة العربية ، و لكنه لم ينفذ ذلك ، وحاول فيما بعد الجنرال (منو) الذي قيل : إنه أعلن إسلامه ، وسمي بعبد الله ، مرسوماً بجريدة : "التنبيه" على أن يشرف على تحريرها الشيخ إسماعيل الخشاب ، ولكنها لم تصدر فعلاً ، وإنما الذي صدر هو : "سلسلة التاريخ" ، و هي السلسلة التي قام بتحريرها السيد إسماعيل الخشاب هذا ، ولم تكن غير سجل عام لجلسات الديوان للحوادث الهامة إذ ذاك (٢) ، وقال جرجي زيدان : فهي كالصحيفة

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ، تعليق شوقي ضيف ، دار الهلال ، القاهرة : ج/٤ ، ص/٥١ .

(٢) أدب المقالة الصحفية في مصر : عبد اللطيف حمزة ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٨م :ج/١ ، ص/٥٤ .

العسكرية أو القضائية" (٣) التي دعيت باسم "التنبيه" . وذهب أديب مروة إلى أنه "ولدت أول صحيفة مطبوعة باللغة العربية إبان الحملة الفرنسية على مصر وذلك في عام ١٨٠٠م ، وقد أمر بونابرت حينئذٍ بإصدار نشرة باللغة العربية دعيت "التنبيه" (٤) ... قد استمرت هذه الصحيفة في الصدور حتى انسحاب الفرنسيين من مصر" (٥) ، وقال الأستاذ أبو بكر الحسني : "إن أول صحيفة عربية إذا صح التعبير قد أصدرها نابليون في مصر عام ١٨٠٠م ، و كانت الوقائع المصرية ثاني صحيفة عربية قد صدرت عام ١٩٢٨م" (٦) .

وبعد عام ١٨٠١م كانت البلدان العربية محرومة من الصحافة العربية إلى أن جاءت سنة ١٩٢٧م ؛ فأصدر محمد علي جريدة شهرية : "جورنال الخديو" ، وتحولت بعد نوفمبر سنة ١٨٢٨م إلى جريدة "الوقائع المصرية" جعلها محمد علي لسان حال الحكومة ، بعناية الدكتور كلوت بك و قد فوض إدارتها و تحريرها إلى العالم الكبير رفاعة بك بن رافع الطهطاوي الذي تخرج من باريس (٧) ، و ما زالت تصدر حتى الآن و تعتبر الجريدة الرسمية للدولة ، و هي أول صحيفة عربية عامة صدرت في هذه النهضة أولاً

(٣) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان : ج/٤ ، ص/٥٢ .

(٤) وقيل : إن اسمها : "الحوادث اليومية" أو "الوقائع المصرية" .

(٥) الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها : أديب مروة ، دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٦١م : ص/١٤٨-١٤٩ .

(٦) الصحافة المصرية في مختلف أدوارها : مقال أبي بكر الحسني ، البعث الإسلامي ، مايو/١٩٧١م : ص/٦٣ .

(٧) تاريخ تكوين الصحف المصرية ، قسطاكي إلياس عطارة ، مطبعة التقديم ، الإسكندرية ١٩٢٨م : ص/٩٩ .

باللغة التركية ، ثم باللغتين : التركية ، والعربية ، فأصبحت عربية محضة ، و كان صدورها غير منتظم ، فنظمت في عهد إسماعيل ، وقد تولى تحريرها نفر من كبار الكتاب ، وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوي ؛ كما ذكرنا ، والشيخ حسن عطار ، والشيخ عبد الرحيم ، والشيخ مصطفى سلامه ، وصالح مجدي بك ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان وغيرهم ، ولم تصدر أية صحيفة أخرى بعد ذلك أثناء حكم عباس ، وسعيد [١٨٤٩-١٨٦٣م] إلى أن جاء عهد الخديو إسماعيل وكان عباس ، وسعيد لن يكن لهما رغبة في الأدب ، ولذلك يمكن القول إن الصحافة الشعبية في مصر لم تنشأ إلا على عهد إسماعيل الذي تولى حكم مصر من سنة ١٨٦٣م إلى سنة ١٨٧٩م ، وكان إسماعيل قد تلقى في فرنسا العلوم الاجتماعية ، والأدبية ، والعمرانية ، والعسكرية ، والهندسية ، وفي أيامه نهضت آداب اللغة العربية ، وفكرة الجامعة العربية ، ونشطت الصحافة ، وشجع إسماعيل المصريين و اللبنانيين و الوافدين إلى مصر على إنشاء الصحف والمجلات ؛ لأنه كان شديد الرغبة في المدنية الحديثة التي رآها في عواصم أوربا أيام تربيته وسياحته فيها ، وهو يريد أن يظهر مصر بمظهر الدولة الديموقراطية من حيث الشكل على الأقل ، وأسس "مجلس شورى النواب" ؛ فظهرت في هذه الأيام الصحافة المصرية تماثل الصحافة الغربية ؛ فأقدم صحيفة مصرية صدرت بعد الوقائع المصرية "اليعسوب" سنة ١٨٦٥م (٨) ، وهي مجلة شهرية علمية طبية أنشأها محمد علي باشا ، وإبراهيم الدسوقي ، ثم ظهرت في عهد إسماعيل صحف أهلية ، ومنها "وادي النيل" التي صدرت سنة ١٨٦٦م كانت سياسية أدبية علمية ، مرتين في الأسبوع ، ونزهة الأفكار التي صدرت سنة ١٨٦٩م لصاحبيها إبراهيم المويلحي ، و عثمان جلال ، وكانت جريدة سياسية أسبوعية شديدة اللهجة

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان : ج/٤ ، ص/٥٤ .

عنيفة النقد ، فلم يرض عنها الخديوي إسماعيل ؛ فأمر بإلغائها (٩) ، وروضة الأخبار الصادرة سنة ١٨٧٠م ، وأول صحيفة عربية للبنانيين في مصر جريدة السلطة ، وجريدة الكوكب الشرقي عام ١٨٧٣م ، وكانت أسبوعية سياسية أسسها سليم حموي ، ثم أصدر صاحب هذه الجريدة : "شعاع الكوكب" ، وكانت هذه الجريدة تجارية أدبية يومية (١٠) ، وقال فليب دي طرازي : كانت حرية الصحافة مطلقة في عهده ، لكنه كما قال جرجي زيدان : "لم يكن يصبر على من ينتقده ، فكان الكتاب يراعون جانبه ، ومن تجاسر على انتقاده أصبح في خطر القتل ، كما أصاب مدير "الأهرام" رحمه الله (١١) ، وكانت من أهم الصحف ، وأقدمها للسوريين جريدة الأهرام لسليم و بشارة تقلا أصدرا في الإسكندرية سنة ١٨٧٦م (١٢) ، ثم نقلت إلى القاهرة ، وبقيت إلى الآن بجميع ميزاتها كانت لهذه الصحيفة عناية خاصة بنشر البرقيات الخارجية مع العناوين الأدبية ، وقد أتى إلى مصر السوريون فراراً من قانون المطبوعات أحدثتها الدولة العليا في سورية ، وأعانوا في كثير من الأمور الثقافية ، هكذا صدرت جريدة : "حقيقة الأخبار" سنة ١٨٧٧م ، وظهرت أول صحيفة قبطية : "الوطن" في القاهرة سنة ١٨٧٧م لميخائل عبد السيد ، وقد صدرت في عام ١٨٩٥م جريدة

(٩) الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها : أديب مروة : ص/١٩٢ .

(١٠) الصحافة المصرية في مختلف أدوارها : مقال أبي بكر الحسني : البعث الإسلامي - لكناؤ ، مايو/١٩٧١م : ص/٦٤ .

(١١) تاريخ الصحافة العربية : الفيكونت فليب دي طرازي ، المطبعة الأدبية ، بيروت ١٩٤١م : ج/٣ ، ص/٥ .

(١٢) وقال عبد اللطيف حمزة : قد حصل على تصريح بها ، سنة ١٨٧٥م ، أدب المقالة الصحفية في مصر : ج/١ ، ص/٢٦ .

قبطية أخرى ، هي : "مصر"، وأصدر صحيفة المحروسة سليم النقاسي ، وأديب إسحاق سنة ١٨٨٠م في الإسكندرية على أنقاض جريدة التجارة ، وكان السيد جمال الدين الأفغاني يمد بالمقالات بعد سفر من مصر ؛ كالشيخ محمد عبده (١٣) .

فالصحافة في عصر إسماعيل نهضت بلغة الكتابة ، وحررت النثر من السجع ، والتكلف والإمعان في طلب المحسنات البديعية ، وإنها تناولت موضوعات شتى مما يمس الحياة العامة ، ومشكلات الشعوب ، وقال قسطاكي إلياس عطارة عن تشجيع إسماعيل على الصحافة : "وكانت الحكومة تساعد الصحف من كل وجه ، وتشترك بمئات النسخ ، ولا تمنع مستخدميها عن مساعدتها في تحصيل بدل الاشتراك الذي كان محتماً على العمد ، والفلاحين ، والأغنياء ، وهم لا يعرفون القراءة ، وتأتيهم الجرائد ؛ فلا يفتحونها ، وقد آلت هذه الطريقة من ضغط إلى تعود الناس قراءة الصحف بواسطة الذين يعرفون القراءة" (١٤) .

فلما تولى توفيق على أريكة مصر ، وحدثت ثورة أفكار وطنية ، وظهرت جرائد ثورية كالتنكيت ، والتبكيت ، والطائف ، والمفيد ، خافتها الحكومة ، فعمدت إلى تقييد الصحافة ؛ فسنت قانون المطبوعات سنة ١٨٨١م ، ولكن الثورة أخذت مجراها ، وانتهت بالاحتلال البريطاني .

وكانت في عهد الوزارة الرياضية علاقة خاصة مع رجال الصحافة لا تقل شأناً عن عناية العباسيين مع شعرائهم وأدبائهم لتعزيز الآداب ، و تنشيط الكتاب ، فلرياض باشا فضل أكبر في المساعدة الكبرى التي نالتها دائرة المعارف في عهد إسماعيل ، و قرب إليه رجال المعارف والآداب ، كما

(١٣) الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها : ص/١٩٥ .

(١٤) تاريخ تكوين الصحف المصرية : ص/١١٠ .

يقول قسطاكي إلياس : وكانت الوقائع المصرية التي هي جريدة الحكومة الرسمية أول ما صرف إليه عنايته ، فألف لجنة من كبار الكتاب ، ورجال العلم كالشيخ محمد عبده ، وسعد بك زغلول ، والشيخ عبد الكريم سليمان ، وإبراهيم بك الهلباوي ، والشيخ محمد خليل ، والسيد وفاء ، وعهد إليهم تحرير القسم الغير الرسمي على وجه يعود بالفائدة العمومية ، وينور أذهان الشعب" (١٥) .

وقد أصدر السيد جمال الدين الأفغاني مع الشيخ محمد عبده في باريس "العروة الوثقى" بعد الثورة العرابية سنة ١٨٨٤م ، وصدرت جريدة "المعظم" سنة ١٨٨٩م كانت هذه الجريدة أسبوعية ليعقوب صروف ، وفارس نمر ، و شاهين مكاريوس ، و قال أصحابها عن هدف هذه الجريدة : "إن غرضهم السياسي من تأسيسها معلوم ظاهر ، وهو تأييد السياسة الإنجليزية" (١٦) ، و أصدر إبراهيم المويلحي جريدة : "مصباح الشرق" في سنة ١٨٩٨م ، و كانت هذه الجريدة أسبوعية أدبية علمية ، وكتب إبراهيم عن الرجال البارزين في الإسلام ، وهو يدعو إلى اتحاد العالم الإسلامي (١٧)، وأصدر الشيخ علي يوسف ، والشيخ أحمد ماضي ، جريدة : "المؤيد" سنة ١٨٨٩م كانت هذه الجريدة المصرية من كبريات الصحف المصرية في العهد ، بل هي باكورة الجرائد الإسلامية المهمة التي علت صوتها دفاعاً من حقوق الوطنيين والمسلمين ، وكانت أسبوعية ، ومن كتابها الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل ، وإبراهيم المويلحي ، وأصدر جرجي

(١٥) نفس المصدر : ص/١٢٢ .

(١٦) الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها : ص/١٩٦ .

(١٧) صحافة مصر العربية : محسن العثماني ، الطبعة الأولى ، دلهي ١٩٨٩م : ص/٢٥ .

زيدان مجلة : "الهلال" في سنة ١٨٩٢م ما زالت صادرة إلى الآن ، وصدرت "لسان العرب" اليومية في سنة ١٨٩٤م لأصحابها اللبنانيين في الإسكندرية ، وحظر عليها الدخول إلى البلاد العثمانية ، وكانت من الصحف الوطنية الحرة ، ثم أصدرها أصحابها في القاهرة أسبوعية حتى توقفت بوفاة صاحبها الأول الشيخ نجيب الحداد سنة ١٨٩٩م ، وصدرت جريدة : "المشير" في الإسكندرية سنة ١٨٩٤م ، وكانت جريئة في مناهضة دولة العثمانيين .

فالصحافة المصرية في عهد اللورد كرومر نالت نصيباً لا بأس به من الحرية في التفكير والتعبير ، ومما يؤثر عن اللورد كرومر ، قوله : "إذا وضعت الصمام على المرجل انفجر أما إذا طلقت البخار طليقاً ، فإن سلامة الرجل مضمونة" (١٨) ، لما احتل الإنجليز مصر ، ولم تكن فرنسا معهم تولدت مسائل شتى كمسألة الاحتلال والجلاء ، والمسألة المصرية ، ومسألة الباب العالي ، فانقسمت الصحافة إلى أقسام تحزب بعضها للدولة العثمانية ، والبعض لفرنسا ضد الإنجليز ، والبعض الآخر أخذ جانب الإنجليز .

فالمجلات جعلت تصدر كما ذكرنا حتى بلغ عدداً كبيراً ، كما قال أديب مروة : "إذا قورن عدد الصحف التي كانت تصدر في مصر في السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر ما تلاها من السنين التي سبقت الحرب الأولى ، وبين عددها اليوم لتبين لنا أن الفرق كبير جداً ، فبينما نجد أن عدد الصحف التي كانت تصدر في ذلك العهد قد بلغ ١٦٠ أو ١٧٠/جريدة و مجلة ، نجدها في وقتنا الحاضر ، لا تبلغ ثلث هذا العدد" (١٩) .

(١٨) الصحافة العربية ، نشأتها وتطورها : ص/٢٠٤ .

(١٩) نفس المصدر : ص/٢٠١ .

رسالة دكتوراه
حول : الأدب السعودي الحديث

الدكتورمحمد أنور حفيظ الندوي
(سفارة الهند بالرياض - المملكة العربية السعودية)

قمت مؤخراً بتقديم رسالة للدكتوراه إلى قسم اللغة العربية بجامعة لكناؤ ، تحت إشراف البروفيسور محمد يونس النجرامي رحمه الله (١) ، وقد قررت الجامعة بمنح شهادة الدكتوراه ، وعنوان رسالتي ، هو : "دور المملكة العربية السعودية في تطوير الأدب العربي الحديث (١٩٣٢-١٩٩٥م)" .

قبل التحدث عن الرسالة أرغب أن أكتب عدة أسطر حول العلاقات بين العرب و الهند التي تلقي الضوء على بعض ملامح الروابط والعلاقات القديمة القائمة بين البلدين ، و تساعد في التوصل إلى طرق التعارف والتفاهم بين الشعبين .

تعتبر بلاد العرب والهند أراضي مقدسة لدى شعبيهما ، ويعد كلا البلدين جارين يفصل بينهما بحر يصل إحدى شواطئها إلى أرض الحرم ، وأخراها إلى أرض "آريا ورودهـ" الهندية ، وكانت البلدان المطلة على سواحل البحر تعد بلاداً تجاريةً ، تربط تجارة العرب بالهند حيث كان التجار العرب القدامى يأتون إلى سواحل الهند منذ آلاف سنين ، ويستوردون التوابل والطيب والمواد الغذائية من منتجات الهند إلى أوربا عن طريق مصر ، وبلاد الشام ، وينقلون منتجات أوربا إلى الهند والصين واليابان .

(١) من الأسف أن الأستاذ قد انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل اختباري الشفوي المنعقد في ٢٠٠١/٤/٢م .

إن أواصر العرب مع الهند كانت قائمة منذ العصور القديمة ، وإن السيد/سوامي ديانند ، ذكر في كتابه المعروف بـ "ستيا رتهـ بركاش" "الكورويين حينما بنوا عمارة من رماد أرادوا حبس الباندو بداخلها ، و إشعال النار عليهم أورد ودرجي تلك القصة ليدهشتر في العربية ، ثم رد عليه يدهشتر في نفس اللغة : "و إن هذه الحكاية ذكرها أيضاً المؤرخ الشهير العلامة سليمان الندوي في كتابه : "علاقات العرب مع الهند" .

مسمى الهند :

وعندما سيطر أهالي فارس على إحدى ولايات الهند سموا النهر (المعروف الآن بـ نهر سندهـ) بـ نهر "هندهو" ، وفي قديم الزمن كان العرب يطلقون عليه نهر "مهران" ، و كذلك في العهد القديم كان استبدال لفظ : "س" بلفظ : "ه" شائعاً ، وتوجد له أمثلة عديدة ، ولسبب ذلك تغير لفظ سند بـ "هندهو" ، وهكذا سميت هذه البلاد بـ "الهند" ، كان العرب يعرفون أيضاً الولايات الأخرى من هذه البلاد غير السند ؛ فسموا هذه الولاية ، ولاية سندهـ ، والمناطق الأخرى بالهند ، وهكذا أصبحت الهند معروفة بهذا الاسم ، وقد تغير لفظ : "هـ" في الفرنسية بـ "أ" ، وصار إند و انديا ، ثم عُرفت بـ "إنديا" عالمياً ، وإن أهالي خيبر سموها باسم : "هندو استهان" ، وهي تستعمل في الفارسية "هندوستان" ، وقد أعجب العرب بهذا اللفظ ، وسموا بعض نسوتهم بـ "هند" ، وكسب هذا الاسم شعبيةً كاسم : "ليلى وشيرين" في الفارسية .

وسرد بعض الجغرافيين والسياح من العرب أحوال الهند وميزاتها في كتبهم كالتالي :

١- ابن خرداذ به (٢٥٠هـ) :

كان مسئولاً لإدارة البريد والاستخبارات لدى الملك العباسي معتمد ، ولم يزر الهند شخصياً إلا أنه اعتمد في سرد معلومات الهند على معلومات ذكرها بطليموس عن جغرافيتها وأحوالها ، و ذكر بعض أحوال

الهند في كتابه : "المسالك والممالك" .

٢- سليمان تاجر (٢٣٧هـ) : كان أول سائح من العرب الذي ألف مذكراته السفرية التي طبعت باسم سلسلة التواريخ في باريس لعام ١٨١١م ذكر فيها أحوال الهند مفصلاً .

٣- المسعودي (٣٠٣هـ) : كان مؤرخاً وجغرافياً وسائحاً معروفاً صنف عدة كتب ضخمة ، ويوجد اثنان منهما ، الأول : "التنبيه والإشراف"، والثاني : "مروج الذهب و معادن الجوهر" أما كتابه الثاني فنافع و زاخر بالمعلومات ، وكأنه تاريخ للإسلام ، وذكر في مقدمته أحوال أمم العالم ، ومن ضمنها ذكر أحوال الهند .

٤- البيروني (٤٠٠هـ) : كان مؤرخاً وجغرافياً بارعاً صنف : "كتاب الهند" حيث ذكر فيه أسماء مدن الهند مع حدودها الجغرافية ، وينال الكتاب منزلة رفيعة في تاريخ الهند .

٥- ابن بطوطة (١٣٧٧هـ) : كان من أهالي مراكش ، زار الهند في عصر محمد تغلق ، وقد ذكر في مصنفه "عجائب الأسفار" أحوال الهند بصورة رائعة .

وهؤلآء من المؤرخين القدماء الذين كتبوا عن الهند ، أما المؤرخون الذين جاءوا بعدهم ذكروا أحوال الهند أيضاً في كتبهم كأمثال المؤرخ صوفي دمشقي [٧٣٨-١٣٣٦هـ] في "عجائب البر و البحر" ، وزكريا قزويني [١٣٨٣م] في "آثار البلاد" ، و ياقوت الحموي في "معجم البلدان" ، ونويري مصري [١٢٣١م] في "نهاية الأرب في فنون الأدب" .

وإن الشاعر أبو ضلع السندي الذي كان يحب الهند نظم أبياتاً رائعةً في رد أحد المعارضين لفضل الهند ، وأبياته كما يلي :

لقد أنكر أصحابي و ذلك بالأمثل
إذا ما مدح الهند وسهم الهند في المقتل
لعمري أنها إذا القطر بها ينزل
يصير الدر و الياقوت و الدر لمن يعطل

فمنها المسك و الكافور و العنبر و الصندل
و أصناف من الطيب يستعمل من يتقل
و أنواع الأفاويه و جوز الطيب و السنجل
ومنها العاج والساج ومنها العود والصندل
و إن التوتيا فيها كمثل الحبل الأطول
و منها الببر و النمر و منها الفيل والدفقل
ومنها الكوكب والببغاء والطاؤس والجوزل
و منها الشجر الرابخ و الساسم و الفلفل
سيوف ما لها مثل قد استغنيت عن الصيقل
و أرماح إذا اهتزت اهتز بها الجحفل
فهل ينكرها الفضل إلا الرجل الاخطل

و إن أواصر العرب العلمية مع الهند أيضاً قديمةً و متينةً ، وبدأت في عصر المنصور الملك العباسي في عام ١٤٥-٧٧١م ، و في أيام حكومته جاء عالم هندوكي متبحر في علوم الهيئة والحساب مع الوفد الذي وصل إلى بغداد قادماً من السند بأصول السنسكريتية (١)، وقام بترجمتها في العربية بمساعدة إبراهيم فرازي الذي يحمل مكانة في علوم الحساب (٢) ، ومنذ تلك اللحظة التاريخية بدأ العرب باعتراف فضل الهند ، و عبقريتها في العلوم و الثقافة ، و طلب الملك العباسي هارون الرشيد حكماء هنوداً لغرض علاجه حيث إنهم قاموا بإجلال مكانة الهند بأفكارهم ، ثم ترجمت الكتب الفارسية لفنون الهيئة و النجوم و الأخلاق والتربية إلى اللغة العربية ، وهذا العمل المثمر نال تأثيراً بالغاً في قلوب العرب ، وهكذا نالت الهند مكانة مرموقة لدى العرب ، كما ذكر الكاتب الشهير الجاحظ والمؤرخ الشهير يعقوبي ، والكاتب أبو زيد سيرافي في كتبهم القيمة .

(١) كتاب الهند -للبيروني : ص/٣٠٨ .
(٢) أخبار الحكماء : ص/١٧٧ .

وتحتل هذه العلاقة العلمية مكانة بارزة في إطار العلاقات بين العرب والهند ، وتقوى وتزداد بسبب اختيار المسلمين موطنهم في هذه البلاد ، وقام المسلمون ببذل قصارى جهودهم في خدمة اللغة العربية وترويجها وإنمائها ، وأنشأوا المدارس الإسلامية التي لها دور كبير في تطوير اللغة العربية ، وفنونها وثقافتها ، وقامت العلاقات الثقافية أيضاً بين البلدين ، وقامت جامعة ندوة العلماء بأداء عمل جاد ومثمر ، حول ترويج اللغة العربية ، والتي توطدت بها العلاقة بين البلدين ، وبسبب ذلك زار علماء وأدباء مصر ومراكش ، ودول الخليج العربي ، وخصوصاً المملكة العربية السعودية جامعة ندوة العلماء بلكناؤ ، و اطلعوا على ما فيها من التطور في الأدب والثقافة ، وأبدوا إعجابهم في كتبهم ورسائلهم ، حول هذا التطور العلمي في شبه القارة الهندية .

أقيمت جمعية رابطة الأدب الإسلامي العالمية تحت إشراف سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله تعالى) في رحاب هذه الجامعة ، وكان الشيخ الندوي يرى دائماً أن تكون علاقة الهند مع العرب متينة وقوية بتبادل آرائهم وأفكارهم وزياراتهم المستمرة فيما بينهم ، ويرغب في نقل الثروة العلمية الأردية إلى اللغة العربية ، وبالعكس ، لكي يتسنى لعلماء و أدباء البلدين إقامة العلاقات العلمية ، والأدبية المستديمة التي توصلهم إلى سبل التبادل بأفكارهم وثقافتهم (Cultural Exchange) الجديدة ، ويقوي بذلك التعاون التجاري والاقتصادي والحضاري بين البلدين .

وفي أثناء تقديم الرسالة ألقيت الضوء على بعض الأمور التاريخية لأدوار دول السعودية قبل تأسيس المملكة العربية السعودية ، ومجهودات الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى القيمة ، ودوره الريادي في تأسيس المملكة العربية السعودية مع نبذة عن سيرة حياته وجوانبه المشرفة لأنه لا يمكن استقصاء أحوال أي عهد أو حكومة بدون ذكر سيرة مؤسسه وأعماله البارزة .

وكان الملك عبد العزيز رحمه الله يحب العلم والعلماء ، ويقدر أعمالهم النيرة ، وأفكارهم السديدة ، و مجهوداتهم المثمرة ، ويكرمهم بجوائز تقديرية ،

وهدايا تكريمية ، وبسبب ذلك أدباء سعوديون يسيرون على مسيرة التقدم و الازدهار بصورة مستمرة ، و نالوا مكاناً رفيعاً في العالم العربي .

و إن دراسة الأدب العربي السعودي ، و الكتابة عنه مهم بحيث إن أراضي المملكة العربية السعودية كانت منبعاً ومنهلاً للعلوم واللغة قبل الإسلام وبعده إلى يومنا هذا ، و أنزل القرآن الكريم في هذه الأرض الطاهرة و ولد فيها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ونشاء وترعرع ، وبدأ بعرض دعوة الإسلام من هذه الأرض المقدسة ، و إن القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف أعلى نموذج للغة و الأدب ، اقتطف الصحابة والتابعون ، ومن تبعهم من ثمارهما من العلوم والمعارف ، و اللغة والأدب ، والأخلاق ، وهذه الميزة لا تزال تنعكس في لغتهم وأدبهم ، ولم يتوقف على هذا بل ينعكس هذا الأدب الذي ينبثق من المنهل الصافي في الأجيال المتأخرة أيضاً ، وكذلك نرى أدباء سعوديين حيث أنهم يتصفون بهذه الميزة .

وحاولت في رسالتي إلقاء الضوء على سير بعض أدباء وشعراء الكبار السعوديين وأعمالهم الأدبية مع سرد أحوال بعض المؤرخين ، والصحفيين ، وخدماتهم الأدبية ، وأوردت فيها موجز أحوال بعض الأديبات والشاعرات السعوديات ، وأعمالهن العلمية والأدبية .

وأخص بالذكر – أثناء تقديم الرسالة – بأنني قد حاولت أن أقدم تصويراً مباشراً وموجزاً للأدب العربي السعودي الحديث ، لكي يتسنى للأوساط العلمية في شبه القارة الهندية الاطلاع والمعرفة على الأدب العربي السعودي الحديث ، وقد حظي هذا البحث بالترحيب والإعجاب من قبل أعضاء القسم العربي بجامعة لكناؤ ، و من جامعة دار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ وغيرهم من بعض مسئولي المراكز العلمية والأدبية بحيث أنهم يرون أن مثل هذا الجهد يفتح باباً جديداً نحي دراسة الأدب العربي السعودي للاطلاع عليه ، و الاستفادة منه بشكل واسع .

* * *

إلى رحمة الله تعالى :

١- السيدة حرم فضيلة الشيخ عبد الكريم بارك
في ذمة الله تعالى

قلم التحرير (س.أ.)

كان حادث وفاة السيدة حرم فضيلة الشيخ عبد الكريم بارك ، في مدينة ناغفور في الهند ، بتاريخ ١٧/أغسطس ٢٠٠١م - ٢٧/من شهر جمادى الأولى ١٤٢٢هـ بعد معاناة من مرض الكلى ، صدمة عنيفة لجميع محبي فضيلة الشيخ بارك في داخل البلاد وخارجها ، فإن له جماعة كبيرة من أحبائه و أنصاره و المعجبين به في كل مكان ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، لقد تأثر بهذا الحادث جميع أعضاء الأسرة ، وخاصة كان له وقع مؤلم شديد في نفس الشيخ بارك ، فقد كانت تتعاون معه في جميع الشئون العلمية والدعوية والاجتماعية ، وكانت تتميز بصفات الدين ، و الورع ، و الجود ، والسخاء ، فقد قامت بتربية الأسرة على هذه الخلال ، وكانت تحل محلاً رفيعاً بين الداعيات والمربيات ، فكانت أما حنوناً ، ومربيةً حكيمةً ، وزوجةً صالحةً ، ذات مكانة بارزة بين النسوة الصالحات .

وكانت تتصل بطريق زوجها الكريم بسماحة العلامة الكبير السيد الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، وتستفيد من توجيهاته ومؤلفاته ، فكانت تقوم بأعمال الخير و البر في ضوئها ، وقد سافر سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي ، الرئيس العام لندوة العلماء إلى ناغفور ، لأداء واجب التعزية المسنونة .

ونحن إذ نعزى جميع أفراد أسرة الفقيدة ، ندعو الله سبحانه و تعالى أن يتغمدها بواسع رحمته ، ويغفر لها زلاتها ، ويُسكنها في الجنات والنعيم مع الصديقات و الصالحات ، وألهم أهلها وذويها الصبر والسلوان .

فإن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شئ عنده إلى أجل مسمى .

٢- رحيل السري الحاج محمد فاروق الرامفوري

فوجئت أسرة دار العلوم بنبأ وفاة السري الحاج محمد فاروق الرامفوري ، أحد كبار التجار الخيرين في مدينة رامفور في ٦/من شهر جمادى الأخرى ١٤٢٢هـ - الموافق ٢٥/أغسطس ٢٠٠١م ، و ذلك بعد مرض دام عليه شهراً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان الراحل الكريم من محبي سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، ومن أصحاب الخير والإحسان ، كانت علاقته بدار العلوم ندوة العلماء قديمة ومتينة ، وكان ينفق على شئون التعليم ، والتربية الدينية ، وقد أنشأ لهذا الغرض مدرسة ابتدائية في بيته باسم : مدرسة الجنة ، وكان المرحوم أحد الأعضاء المؤسسين لجامعة المعارف في رامفور، والمسئولين عنها ، وقد بعث أبناءه إلى دار العلوم لندوة العلماء ، لكي يتخرجوا منها في العلوم الإسلامية ، وقد قام سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي الرئيس العام لندوة العلماء بالسفر إلى رامفور لتقديم التعازى إلى أهله وأسرته .

كان الله سبحانه وتعالى قد أكرمه بقلب سخي ، وتصلب عقدي ، وتواضع وصلاح ، خلف وراءه أسرة حافلة بالبنين والبنات ، بارك الله فيهم وجعلهم خير خلف لخير سلف .

رحمه الله رحمةً واسعةً ، وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوة .

٣- معالي الشيخ حمودة بن علي
في ذمة الله تعالى

فقدت دولة الإمارات العربية المتحدة في ٨/من شهر سبتمبر ٢٠٠١م - المصادف ١٩/من شهر جمادى الثانية ١٤٢٢هـ ، أحد أبنائها الغالين ، وعضواً عزيزاً في الحكومة ، و هو معالي الشيخ حمودة بن علي ، فقد وافاه الأجل في حادث مفاجئ كان خسارة كبيرة على الصعيد الرسمي ، وعلى المستوى الأسري ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

ولقد بعث سعادة الرئيس العام لندوة العلماء ، رسالة تعزية إلى أسرة الفقيد رحمه الله ، ومعالي الشيخ أحمد خليفة السويدي ، الممثل الشخصي لصاحب السمو رئيس دولة الإمارات ، ونجله الكريم سعادة الأستاذ محمد بن حمودة حفظه الله تعالى ، ننشرها فيما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي الشيخ أحمد خليفة السويدي حفظه الله
الممثل الشخصي لسمو رئيس الدولة - أبوظبي
وسعادة الأستاذ محمد بن حمودة بن علي/المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فقد بلغ إلينا عن طريق أخينا العزيز فضيلة الدكتور تقي الدين الندوي المكرم خبر محزن مؤلم ، و هو أن معالي الشيخ حمودة بن علي ، والد سعادة الأستاذ محمد بن حمودة المكرم ، قد وافاه الأجل في حادث مفاجئ ، فلحق بربه الكريم عزوجل ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولله ما أعطى وله ما أخذ ، وكل شئ عنده لأجل مسمى ، رحم الله الفقيد الجليل ، و أكرم نزله عنده مع المقربين الأبرار ، وألهم ذويه الصبر والسلوان ، فإن كل من له معرفة بالفقيد الجليل ، ومعرفة بنجله الكريم إنما يشعر بألم وأسف كبيرين على هذا المصاب لما كان الفقيد يتصف به من خصال الخير والكرم ، و لكن موافاة الأجل من المقادير التي يكتمها الله تعالى ويعين وقته ، والعبد المؤمن مكلف بالصبر عليه ، و الله تعالى قد يريد أن يرى من عباده الصبر ، كما قد يريد أن يرى منهم الشكر ، وأن ذوي الفقيد الجليل يكسبون أجراً كبيراً عند الله بصبرهم ، فأنا أعزي مني ومن إخواني هنا الأخ الكريم نجل الفقيد الكريم وإخوانه و أقاربه ، داعياً الله تعالى أن لا يريهم مكروهاً ، وأن يحفظهم من كل سوء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المشارك في الشعور بالمصاب

١٤٢٢/٦/٢١هـ
٢٠٠١/٩/١٠م

محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء

البروفيسور مسعود الرحمن خان الندوي الأزهري
ينال جائزة رئيس الجمهورية الهندية

البروفيسور مسعود الرحمن خان الندوي الأزهري ، أحد أبناء جامعة ندوة العلماء ، الذي تخرج في أوائل الستينيات من جامعة ندوة العلماء ، وأحرز منها شهادتي "العالمية" و "الفضيلة في الشريعة الإسلامية" ، ثم سافر إلى جمهورية مصر العربية للدراسة في الأزهر الشريف في قسم التخصص ، وأحرز شهادة "ليسانس" من جامعة القاهرة ، ودبلوم التربية والتعليم من جامعة عين شمس ، ودبلوم عال في العربية والدراسات الأدبية واللغوية من معهد البحوث والدراسات العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم ، تحت إشراف جامعة الدول العربية ، وحصل على شهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من جامعة عليكراه الإسلامية .

والبروفيسور مسعود الرحمن خان نجل السري الفاضل الأستاذ محمد عرفان خان الندوي رحمه الله ، شقيق العلامة محمد عمران خان الندوي الأزهري رحمه الله ، مدير دار العلوم لندوة العلماء سابقاً ، وهو يتمتع بمميزة العلم والثقافة والدين ، ويعتبر من الشخصيات العلمية البارزة في مدينة بوفال ، عاصمة الولاية المتوسطة ، في الهند .

وهو يشغل الآن منصب الأستاذ في قسم الدراسات لدول غرب آسيا ، ويتقن اللغات العربية ، والإنجليزية ، والهندية ، والأردوية ، وله شهرة في هذا المجال ، فهو يدعى إلى الندوات والمؤتمرات العلمية التي تعقدها الجمعيات الكبرى ،والمراكز التعليمية في الهند وخارجها ، وله مؤلفات عديدة في اللغة العربية والأردوية .

وأخيراً نال جائزة تقديرية لهذا العام من رئيس الجمهورية الهندية اعترافاً بخدماته في مجال اللغة العربية والأدب العربي ، ويسرنا أن نتقدم إليه بالتهاني القلبية على هذه الجائزة التي لها قيمتها وأهميتها، وندعو الله سبحانه أن يجعلها مبعث خير وبركة في صالح العلم والأدب والدين . (س.ا)